الفصل السابع

قصة إسلام
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

obeikandl.com

obeikandl.com

قصةُ إسلامِ عبد الرحمنِ بنِ عوف

٤٠

(عبد الرحمن بن عوف) صحابيٌّ جليل من سادة قريش، ومن عظمائها، كان من السابقين إلى الإسلام، وفي سبيل نصرة الدين وإعزازه، تحمَّل من الأذى ما تحمَّله، ولمَّا اشتدَّ الأذى على المسلمين الأوائل، ورأى الرسولُ ﷺ ما يصيبُ أصحابَه من البلاء، وأنه لا يقدرُ على أن يحميهم، ويمنعَهم ممَّا هم فيه، قال لهم ﷺ: (لو خرجتُم إلى أرضِ الحَبَشة، فإنَّ بها مَلِكاً لا يُظلَم عنده أحدٌ، وهي أرضُ صِدْقٍ، حتى يجعلَ اللَّهُ لكم فَرَجاً، مما أنتم فيه، ومخرجاً!!).

فخرج عند ذلك المسلمون إلى (أرضِ الحبشة) مخافةَ الفتنة، وفراراً إلى اللَّهِ بدينهم، وهذه (أوَّل هجرة) في الإسلام، وكان في مُقدِّمة هؤلاء المهاجرين (عثمانُ بن عفان) وزوجتُه (رُقيَّةُ بنتُ رسول اللَّه ﷺ) و(عبدُ الرحمنِ بنُ عوف) و(مُصْعبُ بنُ عُمَير) و(الزُّبيرُ بن العَوَّام) حتى وصل عددُ المهاجرين إلى أرض الحبشةَ، ثلاثةً وثمانين رجلاً، كما يقول ابنُ هشام[١].

عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة

لقد كان (عبد الرحمن بن عوف) من السبَّاقين إلى الإسلام، فما أن بلغه الإسلامُ، ودعاه إليه (أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ) رضي اللَّه عنه، إلَّا سارَعَ إلى اعتناقه، فدخل في الإسلام على يد (الصِّدِّيق أبي بكر) رضي اللَّه عنه، وبقي يُخْفي إسلامَه عن المشركين، قُرابةَ ثلاثِ سنوات، حتى خرج مهاجراً إلى أرضِ الحبشة (الهجرة الأولى) كما أسلفنا، وقد بشَّره الرسول ﷺ بالجنة لصبره على تحمل الأذى في سبيلِ اللَّه، وكفاحِهِ وجهاده في سبيل نصرة دينِ اللَّه، وقد بلغَ عددُ الذين بشَّرهم رسولُ اللَّه بالجنة عشرة، كما وردَ ذلك في كلام الصَّادق المصدوق ﷺ حيث قال ﷺ: (أبو بكر في الجنة، وعمرُ في الجنة، وعثمانُ، وعليٌّ، وطلحةُ، والزبيرُ، وعبد الرحمن بنُ عوفٍ، وسعدٌ، وسعيدٌ، وأبو عُبيدة في الجنة)[٢].

واشتهر هؤلاء بين الصحابة بأنهم (العشرة المبشَّرون بالجنة) ومعنى أن هؤلاء

---

(١) انظر تهذيب سيرة ابن هشام ص٨٢.

(٢) الحديث رواه الترمذي وأبو داود.

في الجنة، أنه مقطوعٌ لهم بدخول الجنة، من غير سابق حسابٍ ولا عذاب، فالجنَّةُ مضمونةٌ لهم بإخبار الصادق الأمين.

هؤلاء أبطالُ الدعوة المحمَّدية، السابقون إلى الإسلام، الذين كانوا أوَّلَ من تعرَّض للفتنة بسبب إسلامهم، لم يُضيِّع اللَّهُ عملَهم، بل أخبر على لسان رسوله ﷺ بأنَّ لهم الجنة، فصاروا مشهورين بين المسلمين، باسم (العشرةُ المبشرون بالجنة) رضي اللَّه عنهم وأرضاهم.

المؤاخاةُ بين (عبدِ الرحمن) و(سعد بن الربيع)

ولمَّا كانت الهجرة إلى المدينة المنورة، كان (عبدُ الرحمنِ بن عَوْف) أحدَ هؤلاء السابقين إلى الهجرة أيضاً، وقد كانت الهجرة مفروضة على المسلمين، لا سيَّما بعد ذلك الوعيد والتهديد، الذي نزل فيمن ترك الهجرة، ورضيَ بالمقام بدار الكفر، تحت سلطان الطغاة الظالمين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

فلذلك سارعَ المؤمنون إلى الهجرة، وتركوا ديارهم، وأموالهم، وتجارتهم، طلباً لرضوان اللَّه تعالى!

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وحين وصل المهاجرون إلى المدينة المنورة، آخَى النبيُّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وقال لهم: تآخَوْا في اللَّهِ، أخوَيْن، أخوين!!

فصار (عبد الرحمن بنُ عوف) من المهاجرين، و(سعدُ بن الربيع) من الأنصار، أخويْن في اللَّهِ، فَعَرَضَ عليه (سعدٌ) رضي اللَّه عنه أن يناصفه أهلَه، ومالَه، فأبى (عبد الرحمن) وقال له: بارَكَ اللَّهُ لك في أهلكَ ومالك!! دلَّني على السُّوق[1].

أخرج الإمام أحمد عن أنس رضي اللَّه عنه أنه قال:

قَدِم (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) المدينةَ، فآخى رسولُ اللَّه ﷺ بينه وبين (سعد بن الربيع) الأنصاريِّ رضي اللَّه عنه، فقال له سعد: يا أخي، أنا أكثرُ أهلِ المدينةِ مالاً، فانظرْ حتى أقاسِمَك شطرَ ـ أي نصف ـ مالي فخذْهُ!

(١) رواه البخاري في المناقب ٢/ ٣٤٠.

وتحتي امرأتان، فانظرْ أيَّتَهما أعجبتْكَ حتى أُطلِّقها، فإذا انتهتْ عِدَّتُها تزوَّجتَ بها!!

فقال له عبد الرحمن: بارك اللَّهُ لك في أهلك ومالك، دلُّوني على السُّوق، وأبى أن يشاطره أهلَه، ومالَه!

فدلُّوه على السوق، فذهب فاشترى وباع، وربح من وراء ذلك، فأتى بشيءٍ من الأَقِطِ ـ أي اللَّبَن المجمَّد ـ والسمن، ثم لبث ما شاء اللَّهُ ـ وهو يبيع ويشتري، حتى ربح كثيراً، فرآه النبيُّ ﷺ بعد مدّة، وعليه صُفْرةٌ ورائحةُ زَعْفران، فقال له ﷺ: مَهْيَمْ يا عبد الرحمن؟ ـ أي ما شأنُك ـ فقال: يا رسولَ اللَّه، تزوجتُ امرأةً من الأنصار!!

فقال له ﷺ: ماذا أصدقتها؟ ـ أي ماذا دفعتَ لها مهراً ـ قال: وزْنَ نَوَاةٍ من ذَهَب، فقال له ﷺ: (أَوْلِمْ ولو بشاةٍ)[1].

أي اصنعْ وليمةً لأصحابك، ولو بشاة واحدة (وليمة العرس)!

الأخوَّة الإيمانية تتجلى في أصحاب الرسول ﷺ

رضي اللَّه عن أصحاب رسول اللَّه، فقد تجلَّتْ فيهم الأخوَّةُ الإسلامية الصادقة، على أكمل وجوهها، فقدَّموا أموالهم، ومساكنهم لإخوانهم المهاجرين، عن طيب نَفْس، وحقَّقوا قولَ اللَّه تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] أي يفضِّلون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم، ولو كان بهم فقرٌ أو حاجة، وهذه درجةٌ من (الإيثار) لم نرها ولم نسمع بها، في أحد من الناس، إلَّا في أصحاب الرسول رضوان اللَّه عليهم، حيث كانوا يفضِّلون إخوانهم المهاجرين، على أنفسهم وأهليهم، من فَرْطِ حُبِّهم لهم، حيث أصبحت (أخوَّةُ الإسلام) بينهم، أقوى وأمتنَ من (أخوَّةِ القرابة والنَّسَب).

رضي اللَّه عن عبد الرحمن بن عوف وأرضاه، وجعل الجنَّةَ مسكنه ومأواه، وهنيئاً له بالخلود المقيم في دار النعيم!!

* * *

(١) أخرجه أحمد في المسند، ورواه البخاري في المناقب ٢/ ٣٤٠.

obeikandl.com

قصة أبي طلحة العجيبةُ مع ضيفه

٤١

وممَّا يؤكد هذا المعنى الرائع (الإيثار) وهو أن يفضّل غيره على نفسه، ما حَدَث للصحابي الجليل (أبي طلحة الأنصاري) الذي أطعم ضيفَه، وترك نفسه، وزوجه، وأولادَه جياعاً، وهي قصة فريدة في دنيا الإيثار، ممَّا يعطينا صورةً مشرقةً مضيئة، عمَّا كان عليه الصحابةُ رضوان اللَّه عليهم، من المحبة والتآخي، وما تحلَّوْا به من المآثر والمكارم، وأخوَّةِ الإسلام الصادقة، وهي قصة عجيبة وغريبة، رواها لنا الأئمة الثقات، نذكرها للسادة القراء:

أبو طلحة يكرِّمُ ضيفَ الرسول عليه السلام

روى البخاري عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه قال:

(جاءَ رجلٌ إلى رسول اللَّه ﷺ يشكو إليه الضعفَ، والجوعَ، فقال: يا رسولَ اللَّه، إني امرؤٌ مجهود ـ أي اشتدَّ بي الفقر والجوع ـ فأرسلَ ﷺ إلى نسائه، يسألهن: هل عندكم شيء من الطعام؟

فأرسلتْ كلُّ واحدةٍ منهنَّ تقول: والذي بعثَكَ بالحقِّ، ليس عندنا اليومَ طعامٌ، ولا شيءٌ يؤكل، ما عندنا إلَّا الماءُ!!

فقال صلوات اللَّه وسلامه عليه لأصحابه: من يُضِيفُ هذا الليلةَ يرحمهُ اللَّهُ!؟ أي يأخذه ضيفاً عنده ـ؟

فقال رجل من الأنصار هو (أبو طلحة) ـ: أنا يا رسول اللَّه!! فأخذه معه ودخلَ على زوجته وقال لها: جاءنا اليومَ ضيفٌ عزيز مبارك، هو ضيفُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، لم يجدْ رسولُ اللَّه ﷺ في بيته ما يُطعمه، فأخذتُه أنا عنه، وتكفَّلتُ بضيافتِه، فلا تدَّخري عنه شيئاً، وقدِّمي له كلَّ ما تستطيعين!؟

فقالت له امرأتُه المؤمنةُ: واللَّهِ ما عندي اليومَ إلَّا قوتُ الصِّبية!

نومُ الصِّبيان بدون عشاء من أجل الضيف

فقال لها: نوِّمي الصِّبيةَ وعلِّليهم بشيء ـ أي أسكتيهم حتى يناموا ـ فإذا دخلَ ضيفُنا فقومي إلى السِّراج فأطفئيه، وأُرِيهِ أننا نأكل معه!!

ففعلت المرأةُ ما أشار به عليها زوجُها، نوَّمت الأطفالَ بدون عشاء، ثم قدَّمت الطعامَ للضيف، ووضعت له المائدةَ. **فقال لها زوجُها:** ارفعي لنا نورَ السِّراج فالنور ضعيف، فقامت فأطفأته، مظهرةً أنها تريد رفْعَ إضاءته، وجلست مع زوجها في الظُّلمة ومعهم الضيفُ، يوهمانه أنهما يأكلان، وبَاتَا طَاوِيَيْن على الجوع!!

فأكل الضيف حتى شبع، وبقي شيءٌ قليل من الطعام، ونامَ تلك الليلةَ، فلمَّا أصبح الصباحُ ذهب (أبو طلحة) مع ضيفه إلى رسول اللَّه ﷺ، وكان قد سبقهما الوحي بنزول هذه الآية الكريمة: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ـ أي حاجة ـ والمعنى: يفضِّلون غيرهم على أنفسهم ولو كانوا بحاجة إلى هذا الشيء ـ فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: (لقد عَجِبَ اللَّهُ من صنيعكما البارحةَ بضيفكما)[1].

وبهذه الروح الإيمانية، والأخوَّة الإسلامية، سادت البشرية، ومَلَك المسلمون العالم، وسادوا البلاد والعباد.!

الغنى بعد الفقر

نرجع الآن إلى سيرة (عبد الرحمن بن عوف) الذي كان مضرب الأمثال في الغنى والكرم.

لقد ترك (عبد الرحمن بن عوف) ماله بمكة، وترك دياره وأهله، وخرج مهاجراً طلباً لمرضاة اللَّه، فعوَّضه اللَّه خيراً من ذلك، رزقه ثروةً طائلة، فكان من أعظم أغنياء المسلمين ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ . . . ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

١ ـ لمَّا توفي (عبدُ الرحمن) تركَ من المال، ثروةً ضخمةً تُقدَّر بعشرات الملايين، وكان عامةُ ماله من التجارة، أخرج الحاكم عن بنتِ المِسْور (أن عبد الرحمن بنَ عوف) رضي اللَّه عنه، باع أرضاً له بأربعين ألف دينار، فقسَمَها بين فقراء المسلمين والمهاجرين، وبعثَ إلى عائشة رضي اللَّه عنها بمالٍ منه وفير.

---

(١) القصة أصلُها في البخاري، ومسلم، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٧١ وتسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة من رواية مسلم، وانظر كتاب حياة الصحابة ٢/ ١٢٠.

فقالت: ـ مَنْ بَعَثَ إلينا هذا المال؟ فقيلَ لها: بعثه (عبدُ الرحمنِ بن عوف)
فقالت: سَقَى اللَّهُ ابنَ عَوْف من سلسبيل الجنَّة، سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: (لا يحنو عليكُنَّ من بعدي، إلَّا الصَّابرون)[١].

تجارة ابن عوف الضخمة ينفقها في سبيل اللَّه

٢ ـ وأخرج أحمد في المسند عن أنسٍ رضي اللَّه عنه أنه قال:

(بينما عائشةُ رضي اللَّه عنها في بيتها، إذ سمعتْ صوتاً في المدينة، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عِيرٌ ـ أي إبلٌ ـ لعبد الرحمن بن عوف، قدمتْ من الشام، تحمل كل شيء ـ وكانت سبعَ مائةَ بعير ـ فارتجَّتِ المدينةُ من الصوت.!

فقالت عائشة: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: (رأيتُ عبد الرحمن بنَ عوف يدخل الجنة حَبْواً ـ أي زحفاً على الركب ـ فبلغ ذلك عبد الرحمن، فقال: سأدخلها إن شاء اللَّه قائماً، فجعلها بأقتابها، وأحمالها في سبيل اللَّه عزَّ وجلَّ)[٢].

أي جعلها كلَّها بما فيها من الأرزاق والأموال، صدقةً لوجه اللَّه تعالى، الإبلُ والأرزاق.

رحمَ اللَّه عبد الرحمن بن عوف، وأسكنه فسيح جناته، بما قدَّم للمسلمين من عطاء وعون، وبما تحمَّل في سبيل اللَّه من ضروب الشدة والمشقة حتى عزَّ الدينُ، وانتصر المسلمون!!

* * *

(١) أخرجه الحاكم ٣/ ٣١٠.
(٢) أخرجه أحمد في المسند، وانظر حياة الصحابة ٢/ ١٢٤.

obeikandl.com

قصة إسلام أبي طلحة وزواجِهِ بأمّ سُلَيم رضي الله عنها

٤٢

الصحابيُّ الجليل (أبو طلحةَ الأنصاري) أحدُ أبطال الإسلام، وقُوَّادها، ومشاهيرها من الأنصار، أسلم رضي اللَّه عنه عن طريق زوجته (أم سُليم) وهي إحدى الصحابيات السابقات إلى الإسلام، فقد كانت رضي اللَّه عنها دخلت في الإسلام مع قومها حين أسلموا، و(أمُّ سُليم) اسمُها (العُمَيصَاءُ بنتُ مِلْحان) أمُّ «أنسِ بنِ مالك» خادمِ الرسولِ ﷺ.

كانت «أمُّ سُليم» متزوجةً برجل من عشيرتها من الأنصار اسمه «مالك» ولمَّا بلغه خبرُ إسلامها، غضبَ غضباً شديداً، وهَجَرها أياماً، رغبةً منه أن ترجع عن إسلامها، إلى دين قومها، وهي ثابتةٌ على الإسلام لا توافقه ولا تطيعه، حتى ولو طلَّقها زوجها.!

جاءت (أمُّ سُليم) ذات يوم إلى زوجها (مالك) والد (أنسٍ) رضي اللَّه عنه.

فقالت له: جئتُك اليومَ بما تكره!

فقال لها: لا تزالين تأتين إليَّ بما أكرهُ، من عند هذا (الأعرابي) ـ يقصد به رسولَ اللَّه ﷺ ـ فقالت له: كان أعرابياً فاصطفاه اللَّهُ واختاره، وجعله نبياً! قال: لا واللَّهِ لا أؤمنُ به!!

ثم قال لها: ما الذي جئتِني به؟ قالت: حُرِّمت الخمرُ!! ـ وكان «مالك» مغرماً بشرب الخمر ـ فقال لها: (هذا فراقُ بيني وبينكِ، وخرج إلى الشام، فمات بها مشركاً)[1] هكذا كانت وفاة زوجها في معاقرة الخمر، وقد أبدلها اللَّهُ خيراً منه.!

خِطبة أبي طلحة لأم سُليم رضي اللَّه عنها

ولمَّا مات زوجُها (مالك) تقدَّم لخطبتها الشاب القويُّ الغنيُّ (أبو طلحة)

(١) أخرجه البزّار، وانظر القصة في كتاب حياة الصحابة ٢/ ٤٤٣.

obeikandl.com

الأنصاريُّ، وكان من شباب الأنصار، المشهورين بالشجاعة والبطولة، ومن الأثرياء ذوي الغنى واليسار، المعروفين بغناهم الواسع.

ولمَّا خطبها قالت له: يا أبا طلحةَ، مِثْلُك لا يُردُّ، ولكنك رجلٌ مشركٌ وأنا مسلمة، ولا يحلُّ لمشركٍ أن يتزوَّج بامرأة مسلمة!!

فقال لها (أبو طلحة): لا واللَّهِ، ما هذا أمرُكِ وغايتُكِ؟ قالت: فما هي غايتي؟ قال: همُّك في الصفراءِ والبَيْضاء ـ يعني الذهب والفضة ـ وأنا أعطيكِ ما تُحبِّينَ!!

قالت له: لا واللَّهِ، ليس ذاك غايتي ولا همِّي، وإني أُشْهِدكَ، وأشهدُ رسولَ اللَّه ﷺ، أنك إنْ أسلمتَ، فهذا مهري منك، لا أسألك شيئاً غيرَه، ولا طمعَ لي في ذهبٍ أو فضة، وأنا أرضى بإسلامك لي مهراً!!

فقال لها: كيف لي بالإسلام؟ فقالت لابنها أنس: يا أنسُ، قم فانطلق مع عمِّك إلى رسولِ اللَّه ﷺ، حتى يعلنَ إسلامه فيتزوجَ بي.!

فقام أبو طلحةَ فوضع يدَه على عاتق أنسٍ، وانطلقَ معه إلى رسول اللَّه ﷺ!!

فلما اقتربا من رسول اللَّه ﷺ، قال ﷺ لأصحابه: جاءكم (أبو طلحة) نورُ الإسلام وغُرَّتُه بين عينيه!!

فجاء أبو طلحة فسلَّم على الرسول ﷺ وقال له: (أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه)[1] فزوَّجه رسولُ اللَّهِ على الإسلام، لقد كان مهرَها الإسلامُ فقط، فكانت أبركَ امرأةٍ، وأيسرَها مهراً!!

من عجائب وغرائب القصص

إن هذه القصة العجيبة، لا نجد لها مثيلاً في حياتنا الاجتماعية اليوم، لأنها كانت زواجاً مثالياً، في مبناه ومغزاه، تغلَّبَ فيه منطقُ العقل على القلب، ومنطقُ الوعي على منطق الهوى، من امرأةٍ تغلبُ عليها العاطفةُ، وتحبُّ المالَ والجمال، والهوى والشهوة، كبقية النساء، ولكنها آثرتْ ما هو أسمى وأغلى، آثرتِ الدِّينَ والأخلاق، على جميع مغريات الحياة المادية، التي يعشقها البشر.!

كانت نظرتها العميقة هي إلى الزوج الكفء، الذي تحبُّ أن تسعدَ به، ويكون رفيقاً لها في حياتها.. هذه النظرة فاقت نظرة الرجال إلى الجاه والمال، فقد كان مهرها الذي طلبته من زوجها، هو (الإسلامُ) الإسلامُ ولا شيء غيرُه، هو

(١) انظر كتاب حياة الصحابة للكاندهلوي ٢/ ٤٣٣ والحديث رواه البزَّار.

المهرُ الذي طلبته من زوجها الشابِّ، الجسيم الوسيم، الذي تقدَّم لخطبتها، فلم تكن تفكِّر في مالٍ، ولا جاه، ولا جمال، إنما فكَّرتْ في شيء واحد، هو إنقاذُ خاطبها من (وثنية الشرك) لتعيش معه تحت دوحة الإسلام!

رواية أنس كما في سنن النسائي

روى الإمام النسائي عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أنه قال: (خطبَ أبو طلحة الأنصاري (أمَّ سُليم) ـ يريدُ أمَّه ـ وكانت قد أسلمتْ قبل إسلام أبي طلحة ـ فقالت له: واللَّهِ ما مثلُكَ يا أبا طلحة يُرَدُّ، ولكنك رجل مشرك كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحلُّ لي أن أتزوجك، فإن أسلمتَ فذلك مهري، لا أسألك غيره! فأسلم رضي اللَّه عنه، وتزوَّج بها، وكان ذلك مهرها.!

قال الراوي: فما سمعتُ بامرأةٍ قطُّ، كانت أكرمَ مهراً من «أمِّ سُلَيم» كان مهرَها الإسلامُ فتزوج بها[1].

لقد عوَّضَ اللَّهُ هذه المرأةَ المؤمنةَ الصابرة، عن زوجها الكافر (بأبي طلحة) ذلك الشابُّ المؤمنُ، البطلُ المغوار، الذي ملأَ حياتها هناءً وسعادة، وكانت هي السبب في إسلامه.! لقد كان زوجها مضرب الأمثال، في رجاحة العقل، وبعد النظر، ولْنستمع إلى بقية خبر هذا الزواج، الذي بُني على الحب العميق للإسلام.!

المولود البكرُ لأبي طلحة وأم سليم رضي اللَّه عنهما

ونتابعُ قصة هذه الزوجة الصالحة المؤمنة، التي جعلت مهرَها إسلامَ زوجها، فكانت أسعدَ النساء في حياتها، وأكرمَ النساء الصالحات، فقد ولدتْ لأبي طلحةَ غلاماً جميلاً زكيًّا، مَلأَ حَياتَهما بهجةً وسعادة.!

بعد سنوات من ولادة هذا الطفل لأبي طلحة، مرضَ الصبيُّ واشتدَّ به المرضُ، وكان (أبو طلحةَ) قد تعلَّق قلبُه بهذا الطفل، الذي كان البِكْرَ الوحيدَ له، وفي يوم من الأيام، فارق الصبيُّ الحياةَ، فقالت أمُّ سُليم لأهل زوجها: لا تُخبروا (أبا طلحةَ) بموت ولده، حتى أكونَ أنا الذي أُخبرُه بذلك!!

وضعت الطفلَ في غرفةٍ في منزلها، وأغلقت البابَ عليه، ولبستْ أجمل ملابسها، وتزيَّنتْ بأبهى حُليِّها، وصنعت لزوجها أنفسَ الطعام!

---

(١) الحديث أخرجه النسائي في سننه ٦/ ١١٤ باب التزويج على الإسلام.

فلمَّا رجع زوجُها من عمله، قدَّمت له الطعامَ الشهيَّ، فسألها عن حالِ الطفل، فقالت له: هو أسكنُ ممَّا كان، تريد أنه استراح من ألم المرضِ بالموت وهذه تورية ليس فيها كذبٌ!!

أمُّ سُليم تتعطَّرُ وتتزيَّنُ لزوجها

ظنَّ زوجُها من كلامها، أنَّ الطفلَ قد تحسنت صحتُه، وشُفي من المرض، فأكل من الطعام، وظلَّت تضاحكه وتلاطفه، وهي متعطرة متزينة، حتى أصاب منها ما يصيب الرجلُ من زوجه بالنكاح!

لقد كان في قلبها جمرةٌ تتَّقد من الحزن على ابنها، ولكنها أرادت أن تخفِّف وقعَ المصيبةِ على زوجها، فلمَّا رأت أنه قد أصاب منها، **قالت له**: يا أبا طلحة، أريدُ أن أحدِّثك عن أمر عجيب!!

قال: وما هو؟ قالت: إن جيرانَنا الأقربين، استعاروا عاريةً من عند جيرانٍ لهم، استعاروا من عندهم قِدْراً ليطبخوا فيه طعامهم، فأعاروهم إيَّاه، ثم تأخَّروا عنهم أياماً، فلم يردُّوه لهم، فطلبَ أهلُ العارية قدرهم، فغضبُوا عليهم، وأغلقوا الباب في وجوههم، ولم يكلِّموهم، فماذا ترى؟

قال لها: ليس لهم حقٌّ في هذا الصَّنيع، وهذا أمر عجيب ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾!؟ [الرحمن: ٥٥] قال لها: إن عليهم مقابل إحسانهم، أن يردُّوه لهم، ويشكروهم على صنيعهم!

احتسبْ ولدك عند اللَّه تعالى

فقالت له عند ذلك: إذاً فاحتسبْ ولدَكَ عند اللَّه!!

إنَّ اللَّهَ سبحانه منحك الولد، وجعله وديعةً في يدك، والآن استردَّ الوديعة، فاصبرْ على قضاء اللَّه (إن للَّهِ ما أخذ، وله ما أعطى، وكلُّ شيء عنده بأجل مسمَّى)!

فقال لها: تركتِني حتى إذا تَلَطَّختُ ـ أي تلوَّثتُ بالجماع ـ ثم أخبرتني عن ولَدي!؟

ثم ذهب في الصباح إلى رسول اللَّه ﷺ شاكياً، فأخبرهُ بما فعلتْ به أمُّ سُلَيم، فقال له ﷺ: أعَرَّسْتما؟ قال: نعم، قال: لعلَّه أن يبارِكَ لكما في ليلتكما!

وقدَّر اللَّه تعالى أن تحمل (أمُّ سليم) تلك الليلةَ بغلام، فلمَّا وضعتْه سمَّاه أبو

طلحةَ: (عبدَ اللَّهِ)، وحَمَله إلى رسول اللَّه ﷺ، فَحَنَّكه ـ أي مضغَ تمرةً وجعلَ من ريقه الشريف في فمه ـ ودعا له، فقال: اللهمَّ باركْ فيه، واجعلْه برّاً تقياً!!

يقول الراوي: (فلقد رأيتُ من أولادِ هذا الغلام ـ يعني عبدَ اللَّه ـ تسعةَ أولادٍ، كلُّهم يحفظُ كتابَ اللَّه تعالى)[١].

دعاء الرسول ﷺ لأنس رضي اللَّه عنه

هذه قصة (أُمِّ سليم) زوجة أبي طلحة، وأمُّ (أنسِ بنِ مالك) الذي دعا له ﷺ بالبركة في ماله وولده، فاستجاب اللَّه دعاءَه له فيه!!

فقد روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي اللَّه عنه أن أمَّه جاءت به إلى رسول اللَّه ﷺ، فقالت: يا رسول اللَّه، هذا خُوَيْدِمُكَ ـ تصغيرُ خادم ـ يخدمُك، فادعُ اللهَ له!! فدعا لي بكل خير، وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: (اللهمَّ أكثرْ ماله، وولده، وبارك له فيه!

قال أنس: فواللَّه إن مالي لكثيرٌ، وإن ولدي ووَلَد ولدي ليتجاوزون نحو المائة اليوم)[٢].

هذه هي الأسرة المباركة (أبو طلحة)، و(أم سُليم) زوجته، وولدها (أنس بن مالك) رضي اللَّه عنهم جميعاً، ورزقنا محبتهم آمين.

❊ ❊ ❊

(١) أصل هذه القصة استقيناه من رواية البخاري ومسلم والبزار، وانظر جامع الأصول ٦/ ٤٣٧.
(٢) رواه مسلم والترمذي.

obeikandl.com

قصة (عبد الله بن حرام) والد جابر رضي الله عنهما

٤٣

هذه قصة أخرى لصحابيٍّ جليل، من صحابة رسول اللَّه ﷺ، قصةُ (عبدِ اللَّه بن حَرَام) الأنصاريِّ، والدِ (جابر بن عبد اللَّه) رضي اللَّه عنهما، و(عبدُ اللَّه) هذا استُشهد يوم أُحُدٍ وذهب إلى رحمة اللَّه ورضوانه، بعد قتالٍ عنيف، بينه وبين المشركين، وقد مثَّل به الكفرةُ تمثيلاً فظيعاً شنيعاً، قطعوا أنفه، وأُذُنيه، وبَقَروا بطنه، من شدة غيظهم منه، فقد كان في غزوة أُحُد، يقاتل قتال الأبطال الشجعان، لا يهاب الموتَ، فلما استشهد مثَّل به المشركون تمثيلاً فظيعاً.

روى البخاري ومسلم عن جابر رضي اللَّه عنه أنه قال:

(أُصيبَ أبي يومَ أُحُد ـ أي استُشهد في غزوة أُحُد، واسم أبيه (عبدُ اللَّهِ بن حرام) ـ وجيءَ به إلى النبيِّ ﷺ مُجَدَّعاً ـ أي مقطوع الأنف والأذنين، من تمثيل الكفرة به ـ ووُضع بين يديه، فذهبتُ أكشفُ الثوبَ عن وجهه وأبكي، وهم يَنْهَوْنَني ـ أي عن البكاء ـ والنبيُّ ﷺ لا ينهاني، وجاءت (فاطمةُ) عمةُ جابر، أختُ (عبد اللَّه) تبكيه، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: تَبْكيه، أو لا تَبْكيه ـ أي سواء بَكيتِ عليه أو لم تَبْكِ ـ ما زالتِ الملائكةُ تُظِلُّه بأجنحتها حتى رفعتموه)[1] وانظر قصة إسلامه رضي اللَّه عنه فقد ذكرناها في ص ١٠٣ من هذا الكتاب.

رحمة النبي ﷺ وبرُّه بجابر رضي اللَّه عنه

كان ﷺ يَبَرُّ جابراً ويرحمه، لأن والده قُتل يوم أُحُد، وترك بنات، فكان جابر يعولُهنَّ ويقوم بأمرهنَّ ـ أي ينفق عليهن ويتعهد شؤونهنَّ ـ وكان رسول اللَّه ﷺ يزورُ جابراً ويواسيه، ويستغفر له، حتى قال جابر: (استغفَرَ لي رسولُ اللَّه ﷺ

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم، وانظر التاج الجامع للأصول ٣/ ٣٩٤.

ليلةً خمساً وعشرين مرة)[١] وزيارةُ الرسول ﷺ لجابر، واستغفارُه له، زاده شرفاً ورفعة زيادة على شرف الصحبة.

إحياءُ اللَّه لوالد جابر وتكليمُه له مشافهةً

روى الترمذي بسنده عن جابر رضي اللَّه عنه أنه قال: لقِيَني رسولُ اللَّه ﷺ فقال لي يا جابرُ: ما لي أراكَ منكسراً ـ أي حزيناً ـ؟ قلت: يا رسول اللَّه، استُشهد أبي فقُتل يوم أُحُد، وتركَ عيالاً وديناً!! ـ أي عليه ديون كثيرة للناس، لا أجد وفاءً لها، وله بنات كثيرات من سينفق عليهن ـ؟

فقال لي رسول اللَّه ﷺ: يا جابرُ ألَا أبشِّرك بما لقيَ اللَّه به أباك؟

قلت: بلى يا رسولَ اللَّه بشِّرني، بشَّركَ اللَّهُ بالخير!!

فقال لي رسول اللَّه ﷺ: إن اللَّهَ ما كلَّم أحداً قطُّ إلَّا من وراء حجاب، إلَّا أباكَ، فقد أحياه اللَّهُ تعالى، فكلَّمه كفاحاً ـ أي مواجهةً ليس بينهما حجاب ولا ترجمان ـ فقال له: يا عبدي تَمَنَّ عليَّ أُعطِك ـ أي اطلب ما تشتهيه ممَّا يخطر على بالك حتى أعطيك إيَّاه ـ.

فقال: يا ربِّ أتمنَّى عليك أن تحييني ثانية، فأقتلَ فيك مرة أخرى ـ وذلك لما يراه من أجر الشهيد يوم القيامة، ومن كرامة اللَّه تعالى له ـ!!

فقال له الربُّ عزَّ وجل: إنه قد سَبَق منِّي ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١] ـ أي لا عودة إلى الدنيا بعد الموت ـ وأنزل اللَّه على رسوله ﷺ هذه الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١].

مكرمة عظيمة لوالد جابر رضي اللَّه عنهما

أقول: هذه مكرمة عظيمة لعبد اللَّه بن حرام، والدِ (جابر) رضي اللَّه عنهما، حيث أكرمه اللَّه بالشهادة في سبيله، ثم أحياه اللَّه تعالى بعد أن أدخله الجنة، وعَرَضَ عليه أن يتمنَّى ما يحبُّ، حتى يحقِّقه اللَّهُ له، وهو يسمع كلام ربه، ويحدِّثه بدون أن يكون بينهما حجاب، مشافهةً دون وساطة أحد.

---

(١) رواه الترمذي بسند صحيح.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير ٥/ ٢٣٠ والحاكم في المستدرك ٢/ ١٢٠ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وهذه (كرامةٌ أخرى) من اللَّه لهذا المؤمن الشهيد، وبشارةٌ لابنه (جابر) بما أعطى اللَّه أباه من النعيم، الذي لا يخطر على بال أحد، ليكون قرير العين بسعادة أبيه.

وما أعظم هذا النعيم الذي يلقاه الشهيد، الذي يُقتل في سبيل اللَّه؟ إنه ليس كما يظن الناس قد قُتل ومات، بل هو في حياة برزخية حقيقية، أعظم من هذه الحياة الدنيويّة، إنه يأكل ويشرب، ويستمتع بنعيم الجنة كما قال سبحانه: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾؟

وهل يكون الرزقُ، والنعيمُ، والحياةُ للميت؟ أم هي للحيِّ؟ فالحياة للشهداء حياة حقيقية، فيها كلُّ نعيم، وكلُّ متعة، وكلُّ أسباب الحياة ولكنها برزخية.

وممَّا يؤكد هذا الأمر، ما رواه الإمام أحمد في المسند عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال عن شهداء أحد (لمَّا أُصيب إخوانكم بأُحُد ـ أي استُشهدوا ـ جعل اللَّهُ أرواحهم في أجواف طيرٍ خضر ـ أي من طيور الجنة ـ تَرِدُ أنهارَ الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديلَ من ذهب، في ظل عرش اللَّه)!!

فلمَّا رأوا طيبَ مشربهم، ومأكلهم، وحسن مقيلهم ـ أي راحتهم ومستقرهم ـ قالوا: من يبلِّغ عنا إخواننا أننا أحياء، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يَجْبُنوا في الحرب؟ فقال اللَّه لهم: أنا أُبلِّغهم عنكم، وأنزل اللَّه على رسوله ﷺ هذه الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١].

كرامة عظيمة لوالد جابر رضي اللَّه عنهما

وهذه كرامةٌ أخرى، ومنقبةٌ عظيمة لعبد اللَّه بن حَرَام ـ والد جابر ـ رضي اللَّه عنهما ـ فقد روى البخاري في صحيحه عن جابر رضي اللَّه عنه أنه قال: (لمَّا حَضَر أُحُدٌ ـ يعني كانت موقعةُ أُحُد ـ دعاني أبي من الليل، فقال لي: ما أُرَاني إلَّا مقتولاً، في أول مَنْ يُقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعزَّ عليَّ منكَ، غيرَ نفس رسول اللَّه ﷺ، وإنَّ عليَّ دَيْناً، فاقضِ عني واستوصِ بأخواتك خيراً!!

قال: فأصبحنا فكان أوَّلَ قتيل، ودُفن معه آخرُ في قبرٍ واحد، ثم لم تَطِبْ نفسي أن أتركه مع الآخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعتُه غير هُنيَّة في أُذنه ـ أي شيء يسير ـ فجعلتُه في قبر على حِدَة ـ أي قبرٍ خاص ـ) رواه البخاري في الجنائز.

رحم اللَّه والد جابر وأسكنه فسيح جناته، مع ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

* * *

إسلام عُمير بن وهب رضي الله عنه

٤٤

بعد مقتل (٧٠) سبعين من صناديد الكفر، في (غزوة بدر) وأسر سبعين آخرين منهم، ورجوع فلولهم مندحرةً مهزومةً في تلك الغزوة، على أيدي القلة القليلةِ من المؤمنين، في أول معركة يلتقي فيها أهلُ الإيمان مع أهل الكفر، حصلت قصةٌ عجيبة غريبة، ذكرها أهل السِّيَرِ، كانت سبباً لإسلام (أحد شياطين قريش)، نذكرها للسادة القُرَّاء لما فيها من العظات والعِبَر.

obeikandl.com

قصته العجيبة الغريبة

جلس (عُمَيْرُ بنُ وَهْب) مع (صفوانَ بنِ أمية) في الحِجر، بجوار الكعبة المشرَّفة، بعد مصاب أهل بدرٍ، بزمنٍ يسير.

وكان (عُمَيْرُ بن وَهْب) شيطاناً من شياطين قريش، وممَّن كان يؤذي رسولَ اللَّه ﷺ وأصحابه، ويلقون منه بمكةَ أنواعَ الأذى والبلاء، وكانَ ابنُه (وَهبُ بنُ عُمير) قد وقع في الأسر بيد المسلمين!

التحدث عن مصاب قريش ببدر

جلسا فذكرا مصاب قريش في بدر، **فقال صفوان**: واللَّهِ ما في العيش بعدهم من خير، زعماؤنا وأشرافنا قُتلوا، وأُلقوا في القليب، فما فائدة العيش بعدهم؟

فقال له عُمير: صدقتَ واللَّهِ فيما تقول، أَمَا واللَّهِ لولا دَيْنٌ عليَّ ليس عندي قضاؤُه، وأهلٌ وأولادٌ أخشى عليهم الضَّياعَ بعدي، لركبتُ إلى محمد لأقتلَه، فإنَّ لي عندهم حاجة، ابني أسيرٌ في أيديهم!!

اغتنمها «صفوان» فرصة، فقال لعُمير: دَيْنُك عليَّ قضاؤه، وعيالُك وأولادُك مع أولادي، أرعاهم وأنفقُ عليهم، ما دمتُ حيًّا.!

فقال له عمير: اكتُمْ على الناس هذا الأمرَ، واجعله سرًّا بيني وبينك، وسترى ماذا سأفعل بمحمد؟ فقال له صفوان: سأفعلُ!

بداية المؤامرة لاغتيال الرسول ﷺ

أَمَرَ «عُمَير» بسيفه فشُحِذَ له، وطُلِيَ بسُمٍّ شديد، ثم انطلق حتى قدمَ المدينة، يريد قتلَ (الرسول) ﷺ، ليشفي غليله، وبينما (عمرُ بن الخطاب) رضي اللَّه عنه، ومعه نفرٌ من المسلمين، يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم اللَّهُ به من النصر، وما حدث لأعدائهم من الهزيمة والقتل، إذْ نَظَر عمرُ رضي اللَّه عنه إلى (عُمَيْر بن وهب) وقد أناخ راحلته على باب المسجد، وهو متوشحٌ سيفَه، يريد الدخول على رسول اللَّه ﷺ.

obeikandl.com

فصرخ عمر: هذا الكلبُ عدوُّ اللَّهِ (عُمَيْرُ بنُ وهب) ما جاء إلّا لشرٍّ، وهو الذي حرَّش بيننا وبين قريش، وأسرع نحو الرسول ﷺ فأخبره بالأمر، وقال: يا نبيَّ اللَّه، هذا عدوُّ اللَّه (عُمَيْر بن وهب) قد جاء متوشحاً سيفه!؟

فقال له الرسول ﷺ: أدخلْه عليَّ، فأقبل عمر حتى أخذ بِحِمَالة سيفه، فأمسك بها، ثمَّ أمسك بتلابيب عنقه وأدخله على الرسول ﷺ، وقال لمن كان معه من الأنصار: احذروا على الرسول ﷺ من هذا الخبيث، فاجلسوا عنده، فإنه غيرُ مأمون!

الرسول يأمر عمر بإطلاق عمير

فلما رآه رسولُ اللَّه ﷺ، وعمرُ آخذٌ بحمالة سيفه في عنقه، قال له: أرسلْه يا عمر!

ثم قال ﷺ: ادْنُ منِّي يا عُمَير، فدنا منه، فقال: أنعِمْ صباحاً، ـ وكانت تحيةَ أهلِ الجاهلية بينهم ـ فقال له رسول اللَّه ﷺ: قد أكرمنا اللَّهُ بتحيّةٍ خيرٍ من تحيتك يا عُمير، تحيةِ أهلِ الجنة (السلام عليكم ورحمة اللَّه)!

فقال له عُمير: واللَّهِ يا محمدُ لا أعرف غيرها، وإني لحديث عهد بالمسلمين!

فقال له صلوات اللَّه وسلامه عليه: أخبرني ما الذي جاء بك يا عُمَيرُ؟ قال: إنما جئتُ لهذا الأسير الذي في أيديكم ـ يريد ابنه الأسير ـ فأحسنوا فيه، وأطلِقُوا سراحَه، واطلبوا ما تريدون من مال!!

فقال ﷺ: فما بالُ السيفِ في عُنُقِك!؟ فقال له: قبَّحها اللَّهُ من سيوف؟ وهل أغنتْ عنَّا شيئاً؟

فقال له الرسول الكريم: اصدُقني ما الذي جئتَ من أجله!؟

قال: ما جئتُ إلا لذلك!!

رسول اللَّه ﷺ يكشف له عن المؤامرة

فقال له ﷺ: لا، ليس كما تقول، بل قعدتَ أنت و(صفوانَ بنَ أميةَ) في الحِجْر، فذكرتما أصحابَ القليب من قريش، ثم قلتَ له: لولا دَيْنٌ عليَّ، وعيالٌ عندي أخشى عليهم من الضَّياع، لخرجتُ إلى المدينة حتى أقتلَ محمداً، فتحمَّل لك (صفوانُ بنُ أميةَ) بِدَيْنِكَ وعيالكَ، على أن تقتُلني، واللَّهُ حائلٌ بينكَ وبينَ ذلك!!

بُهتَ عُمير لهذا الأمر، وسُقِط في يده، وقال للرسول ﷺ: أشهدُ أنك رسولُ

اللَّه حقاً، قد كنَّا يا رسولَ اللَّهِ نكذِّبك، بما كنتَ تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، والآنَ علمتُ يقيناً صدقَك، فهذا أمرٌ لم يحضرْهُ إلَّا أنا وصديقي (صفوان) فواللَّهِ إني لأعلم أن هذا الأمر، ما جاءك به إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ، فالحمد للَّه الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساقَ، ثم شهدَ شهادة الحقِّ عند رسول اللَّه ﷺ فأعلن إسلامه.

فقال رسولُ اللَّه ﷺ لأصحابه: فقِّهوا أخاكم في دينه، وعلِّموه القرآن، وأطلقوا له أسيرَه، ففعلوا.

ثم قال عُمير: يا رسول اللَّه، إني كنت جاهداً ـ أي مجتهداً ـ على إطفاء نورِ اللَّه، شديدَ الأذى لمن كان على دين اللَّه، وأنا أحبُّ أن تأذنَ لي أن أرجع إلى مكة، فأدعوهم إلى اللَّه ورسوله، وإلى الدخولِ في الإسلام، لعلَّ اللَّه أن يهديهم، وإن لم يؤمنوا آذيتُهم في دينهم، كما كنتُ أوذي أصحابك في الإسلام.!

فأذن له رسولُ اللَّه ﷺ، فلحق بمكة، وأصبح يدعو إلى الإسلام، فأسلم على يديه ناسٌ كثيرون.!

صاعقةٌ تنزل على صفوان بين أمية

كان «صفوانُ بن أمية» حين خرج (عُمَيْر بنُ وهب) يقول لأهل مكة من المشركين: أبشروا بوقعةٍ تأتيكم الآنَ، في أيام تُنْسيكم وقعةَ بدر!! ـ يريد بذلك مقتل رسولِ اللَّه ﷺ ـ وكان يخرج فيتلقَّى الركبانَ يسألهم عن عُمير، ليتأكد من نجاح المؤامرة، حتى جاء راكبٌ فأخبره عن إسلامه!! فسُقط في يده، ونزل عليه هذا الخبرُ، نزول الصاعقة المدمِّرة، فغضب على عُمير، وحَلَف أن لا يُكلِّمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً[1].

هكذا انقلب «عُمير» من الضلالة إلى الهدى، وأصبح داعيةً للإسلام، بعد أن كان عدواً لدوداً لدين اللَّه، وذهب ليأتي لهم برأس محمد، فإذا به يعود مؤمناً صادق الإيمان، يحمل دعوةَ محمد عليه الصلاةُ والسلام ويدعو إليها الناس.!

فرحُ المسلمين بإسلام عُمير بن وهب

فرح المسلمون فرحاً شديداً لإسلام «عُمير» حين هداه اللَّه لدين الإسلام،

(١) أخرجه ابن إسحاق من حديث عروة بن الزبير، وأخرجه الطبراني وقال الهيثمي: إسناده جيد ٨/ ٢٨٦.

حتى قال (عمرُ بن الخطاب) حين رأى إسلامَه: لخنزيرٌ كان أحبَّ إليَّ من «عُمَيْر» حين طلع علينا بالمدينة، وهو الآن أحبُّ إليَّ من بعض أبنائي!!

رضي اللَّه عن (عُمَير بن وهب) هذا الذي ظهر له الحقُّ، فاتَّبعه دون تلكُّؤٍ، وأخذ يدعو إليه بكل صدقٍ وإخلاص، حتى أسلم على يديه الكثيرون، وقد نجح بحِنْكته ودهائه، أن يُقنع صديقَه الحميم (صفوانَ بنَ أمية) بالدخول في الإسلام، بعد أن كان من أعدى أعدائه، فأسلم عن طريقه رضي اللَّه عنه.

من هو عُمَيْر؟

والآنَ هل تدرون من هو (عُمَير)؟ إنه والدُ الشاب المؤمن الصالح، (مُصْعَب بن عُمَيْر) الذي كان من السابقين إلى الإسلام، وهو الذي نشَرَ الإسلامَ في المدينة المنوَّرة، وكان هو المعلِّم والمقرئ للقرآن فيها، حتى آتتْ هذه الثمرةُ أُكُلَها، ودخل الناسُ في دين اللَّه أفواجاً!

* * *

openkandl.com

قصة إسلام صفوان بن أمية رضي الله عنه

(٤٥)

ومن غرائب وعجائب الأخبار أن (صفوانَ بنَ أمية) الذي حَلَف أن لا يُكلِّم (عُمَيراً) وأن لا ينفعه بنافعة أصلاً، حين بلغه خبرُ إسلامه، هو نفسُه الذي دخل في دين محمد ﷺ، وأسلم على يدَيْ (عُمير) رضي اللَّه عنه.

روى الواقدي عن عبد اللَّه بن الزبير رضي اللَّه عنهما أنه قال: لمَّا كان يومُ الفتح، ـ فتح مكة ـ أسلمتْ امرأةُ (صفوانَ بنِ أمية) وأمَّا زوجها (صفوانُ) فهربَ حتى أتى الشِّعْبَ ـ شِعْبَ بني عامر ـ فقال لغلامه: ويحكَ انظرْ من ترى من القوم؟ فقال له غلامُه: هذا (عُمَيرُ بنُ وَهْب) قادمٌ إليك!

قال صفوانُ: ما أصنعُ بعمير؟ واللَّهِ ما جاء إلَّا وهو يريد قَتْلي، لقد دخلَ في دين محمد، وهو يريد أن يدلَّ محمداً عليَّ.!

فلحقه عُميرٌ يريد أن يدعوه إلى الإسلام، ويبشّره ببشارةٍ من عند رسول اللَّه ﷺ!!

فقال له صفوان: يا عُمير، ما كفَاكَ ما صنعتَ بي؟ حَمَّلتني ديْنَكَ وعيالَكَ، فسدَّدتُ الدَّيْنَ عنك، وأنفقتُ على عيالِكَ، ثم جئتَ تريد قتلي؟

فقال له عمير: يا أبا وهب ـ كنيةُ صفوان ـ جُعلتُ فِدَاكَ، لقد جئتُك من عند خيرِ الناس، وأبرِّ الناس، وأوصلِ الناس، واللَّهِ لا ينالك أذى، اذهبْ معي إلى رسول اللَّه ﷺ فسترى منه كلَّ خير!

رسولُ اللَّه ﷺ يؤمِّن صفوان

وقد كان (عُمير) رضي اللَّه عنه قال لرسول اللَّه ﷺ: يا رسول اللَّه، (صفوانُ) سيِّدُ قومه، خرج هارباً، يريد أن يقذف نفسه في البحر، وخافَ أن تقتلَهُ، وألَّا تؤمِّنه على نفسه، فآمنْهُ فداكَ أبي وأمي!!

فقال له ﷺ: هو في أمانٍ، قد أمَّنتُه!! فخرج في أثَرِه، يدعوه إلى أرحم الخلق، فقال له: إن رسول اللَّه قد أمَّنك!

فقال له صفوان: لا واللَّهِ لا أرجع معك، حتى تأتيني بعلامةٍ أعرفها من محمد!! فذهب وجاءه بالبُرْدِ الذي دخلَ به رسولُ اللَّه ﷺ مكة، حين فَتَحها معتجراً به ـ أي مغطِّياً به رأسَه ـ فجاء معه إلى رسول اللَّه ﷺ، فلمَّا انتهى إليه، رأى الرسولَ يصلِّي بالناس (صلاةَ العصر) بالمسجد، فلمَّا سلَّم صاح (صفوانُ) يا محمد، إن (عُمَيْرَ بنَ وهبٍ)، زَعَم أنك أمَّنْتَني!!

فقال له الرسول: انزلْ أبا وهب فأنتَ في أمَانٍ أربعةَ أشهر، حتى ترى رأيَك!! فنزلَ صَفْوانُ بالأمان، فلمَّا كان يوم حنين، نزل رسول اللَّه ﷺ، ينظر إلى الغنائم الوفيرة، التي تركها المشركون، ومعه (صفوانُ بنُ أمية) وجعل (صفوانُ) ينظر إلى وادٍ بين جبلين، مملوءٍ أنعاماً ومواشي، وأرزاقاً، ورسولُ اللَّه ﷺ يرمقُه، وهو يديمُ النَّظَر.

فقال له الرسول ﷺ: (أَبَا وَهْب) يعجبك ما ترى في هذا الوادي؟ قال: نعم، قال: هو لك وما فيه!!

فقال صفوان عند ذلك: هذا واللَّهِ ما تطيبُ به نفسُ أحدٍ، إلَّا نفسُ نبيٍّ **(أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمداً رسول اللَّه)** فأسلم رضي اللَّه عنه وحَسُن إسلامه[١].

ما السببُ في إسلام عُمَيْر وصَفْوان؟

لقد كان هذا النبأ الغيبيُّ، الذي أخبر رسولُ اللَّه ﷺ (عُميرَ بنَ وهب) به، سبباً لإسلامه، إذ تحقَّق له معرفةُ الرسول ﷺ بما جرى بين (عُمير) و(صفوان) من مؤامرة لاغتيال الرسول ﷺ وأنه لم يكن ليعرف ذلك، لولا أنه رسولُ اللَّه يوحَى إليه من عند الخالق جلَّ جلالُه، الذي يعلم السرَّ وأخفى.!

كما أن إسلام (صفوان) كان سببُه لطفُ معاملة الرسول ﷺ لأعدائه، فلم يقتلْهُ مع كثرةِ إيذائه للمسلمين، بل عفا عنه، وأعطاه من الغنائم ما لم يكن يحلمُ به أحدٌ من البشر، كما ثبت من سيرة الرسول ﷺ العطرة، أنه (كان يعطي عطاءَ من لا يخشى الفقرَ) حتى قال «صفوانُ بنُ أمية»: (واللَّهِ لقد أعطاني رسولُ اللَّه ﷺ في حُنين ما أعطاني، وإنه لأبغضُ النَّاسِ إليَّ، فما زالَ يعطيني حتى إنه لأحبُّ الناس إليَّ)[٢]، ولمَّا

(١) روى هذه القصة ابن إسحاق، وابن عساكر، وانظر حياة الصحابة ١/ ١٤٨.

(٢) انظر التاج الجامع للأصول ٣/ ٢٤١ والحديث رواه مسلم، أعطاه مائة من الإبل، ثم مائة ثم مائة، وهذا يدل على أنه ﷺ أكرم الناس.

رسخ في قلبه الإيمانُ، صار حبُّ الرسول ﷺ عنده، أكبرَ من الدنيا وما فيها. رضي اللَّه عن صفوانَ وعُمير، وأسكنهما فسيح جناته، فقد صارا من أعمدة هذا الدين، وانتقلا من الجحيم إلى النعيم.!

رسولُ اللَّه يعطي عطاءَ من لا يخشى الفَقر

روى أنسٌ رضي اللَّه عنه (أن رجلاً سأل النبيَّ ﷺ غنماً بين جبلين، فأعطاه إيَّاه، فأتى قومه فقال: أي قوم ـ أي يا قومي ـ أسلموا، فواللَّه إن محمداً ليعطي عطاءَ من لا يخاف الفقر) رواه مسلم.

الرجلُ لم يأمر قومَه بالإسلام، رغبةً في العطاء، ولكنه أراد أن يُظهِر لهم أن النبي ﷺ صادقٌ في نبوَّته، لأنه يعطي ولا يخاف فقراً، وهذا لا يصدر إلا من شخص تأيَّد بالمعجزات، وامتلأ قلبُه يقيناً بوعد ربه جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

* * *

obeikandl.com

قصة إسلام أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

٤٦

(أبو موسى الأشعريُّ) أحدُ الصحابة الكرام، كان من السابقين إلى الإسلام، والأشعريون قبيلة تُنسب إلى أبيهم (الأشعَر) بأرض اليمن، منهم (أبو عامر)، و(أبو موسى الأشعري) رضي اللَّه عنهما.

اسمه (عبدُ اللَّهِ بنُ قيس) وهو من قبيلة (الأشعريين) الذين قدموا من اليمن، بقصد الدخولِ في الإسلام، بعد أن سمعوا بدعوة الرسول ﷺ، فأسرعوا إلى مكة، ليلتقوا بصاحب الرسالة (محمد بن عبد اللَّه) صلواتُ اللَّه وسلامه عليه.!

قدمَ (أبو موسى) المدينةَ بعد فتح خيبر، وصادفت سفينتُه سفينةَ (جعفر بن أبي طالب) فقدموا جميعاً على رسول اللَّه ﷺ. استعمله عمر والياً على البصرة، فافتتح الأهوازَ، ثم أصبهانَ، ثم استعمله عثمان على الكوفة، ومات بها سنة اثنتين وأربعين من الهجرة.

حديث إسلام أبي موسى في البخاري

ولنفسحِ المجالَ لإمام المحدِّثين (الإمام البخاري) رضي اللَّه عنه، ليحدثنا عن قصة إسلام (أبي موسى الأشعري) حيث يذكر بسنده عن أبي موسى رضي اللَّه عنه أنه قال: (بلَغَنا مَخْرَجُ النبيِّ ﷺ ونحنُ باليمن، فخرجنا مهاجرينَ إليه، أنا وأَخَوانِ لي، أنا أصغرُهم، في ثلاثة وخمسين رجلاً من قومي.!

فألقتنا سفينتنا إلى النَّجاشي (بالحَبَشة) فوافقنا (جعفرَ بنَ أبي طالب) فأقمنا معه، حتى قدمنا المدينةَ جميعاً، حين افتتح رسولُ اللَّه ﷺ خيبر.!

فكان أناس من الناس يقولون لنا: ـ أي للمهاجرين من أصحاب السفينة ـ سبقناكم بالهجرة، ودخلت (أسماءُ بنتُ عُميس) وهي ممن قدم معنا على أمِّ

المؤمنين (حفصةَ) زوجِ النبيِّ ﷺ زائرةً، وقد كانت مهاجرةً إلى (النجاشي) فيمن هاجر من المسلمين.!

أصحاب السفينة لهم هجرتان

ودخل (عمرُ) رضي اللَّه عنه على (حفصة) وأسْمَاءُ عندها، فقال: من هذه؟ قالت: (أسماءُ بنتُ عُميس)!

قال عمر: الحبشيةُ هذه؟ البحريةُ هذه؟ قالت أسماءُ: نعم.

فقال لها عمر: لقد سبقناكم بالهجرة، فنحن أحقُّ برسولِ اللَّه ﷺ منكم!!

فغضبت أسماءُ رضي اللَّه عنها، وقالت: كلَّا واللَّهِ ـ أي ليس الأمر كما تقول ـ كنتم مع رسول اللَّه ﷺ، يُطْعِمُ جائعَكم، ويعِظُ جاهلَكم، وكنَّا في أرض البُعَداء الغُرباء، وذلك في اللَّه، وفي رسول اللَّه ﷺ.!

وايمُ اللَّهِ ـ أي أُقسِمُ باللَّه ـ لا أَطْعَم طعاماً، ولا أشرب شراباً، حتى أَذْكرَ ما قلتَ للنبيِّ ﷺ وأسأله، وواللَّهِ لا أكذبُ، ولا أزيدُ عليه، ولا أَزيغُ في كلامي!!

رسولُ اللَّه يردُّ على عمر بن الخطاب

فلمَّا جاء النبيُّ ﷺ قالت: يا نبيَّ اللَّهِ، إن عمرَ قال كذا، وكذا؟

قال: فماذا قلتِ له؟ قالت: قلتُ له: كذا، وكذا!!

فقال لها ﷺ: ليس بأحقَّ بي منكِ، ولهُ ولأصحابه هجرةٌ واحدةٌ، ولكم أنتم أصحابَ السفينة هجرتان ـ يقصد الهجرةَ للحبشة، والهجرةَ للمدينة ـ.

يقول راوي الحديث (أبو بُردة): فلقد رأيتُ (أبا موسى الأشعريَّ) وأهلَ السفينة يأتوني أفواجاً، يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء، هُمْ به أفرحُ، ولا أعظمُ في أنفسهم، ممَّا قال لهم النبيُّ ﷺ)[1].

وفي روايةٍ عن ابن سعد أنه قال: (قالت أسماءُ بنتُ عُميس رضي اللَّه عنها: يا رسولَ اللَّه!! إن أقواماً يفخرون علينا، ويزعمون أنَّا لسنا من المهاجرين الأوَّلين!!

فقال لها ﷺ: بل لكم هجرتان: هاجرتم إلى أرضِ الحبشة، ثم هاجرتم بعد ذلك إلى المدينة)[2].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه.

(٢) طبقات ابن سعد، وانظر فتح الباري ٧/ ٣٤١ وحياة الصحابة ١/ ٢٩٤.

ثناءُ الرسول ﷺ على الأشعريين

لقد كان (أبو موسى الأشعري) من قبيلة (الأشعريِّين) الذين أثنى عليهم النبيُّ ﷺ، بأنهم يتعاطفون، ويتراحمون، ويتناصرون، وقد تحلَّوْا بخُلُق الإيثار، والتعاون، وقتَ الضِّيق والشدَّة، وقد أثنى عليهم النبيُّ ﷺ بقوله: (إنَّ الأشعريِّينَ إذا أَرْمَلُوا ـ أي افتقدوا الطعام ـ في الغزو، أو قَلَّ طعامُ عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم، ثم اقتسموه بينهم في إناءٍ واحد بالسويَّة، فهم منِّي، وأنا منهم)[1].

أي هم من جماعتي وعلى مذهبي، وأنا من جماعتهم، أدعو الناس إلى هذا الخُلق الكريم، وهو التعاون في الضَّرَّاء والسَّراء!!

شجَّعهم رسولُ اللَّه ﷺ على هذا العمل الإنساني الجليل، وهو أن يبذلوا الخيرَ والمعروف، وأن يشتركوا في قسمة ما عندهم من الأرزاق، إذا وقعوا في شدَّة وضيق.

نسبة الإسلام إلى الاشتراكية باطلة

وقد ذهب بعضُ المفتونين في هذا الزمان، إلى تسمية هذا النوع من التعاون الأخوي بـ(الاشتراكية) زعماً منهم أن (أبا ذرٍّ الغفاري) و(أبا موسى الأشعري) كانا يمثِّلان هذا (المذهب الاشتراكي)! وهذا كذب وبهتان، فالإسلام دينٌ يدعو إلى المحبة والإخاء، والتكاتف والتعاون ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

فهلْ مصادرة الأموال، وتقسيمها بين أفراد معيَّنين، ينتمون إلى حزبهم، هو الذي يدعو إليه الإسلام؟

هل الاشتراكية التي ينادون بها، حقَّقت العدالةَ للناس، فأصبح الفقراء أغنياء بفضل تطبيقها؟ أم أنها زادت في سَحْق الغنيِّ والفقير، فأصبح الجميع فقراءَ، إلَّا طبقة معيَّنة من هؤلاء المتنفِّذين في الحكم، والمنفردين في زعامة الأمة!!

يَسُنُّون من الأنظمة والقوانين ما يحقِّق لهم مصالحهم، بعد أن داسوا بأقدامهم على المبادئ التي ينادون بها، وكانوا يعدُّونها (البلسمَ الشَّافيَ) لمرضِ الفقر والحرمان!!

---

(١) رواه البخاري في المناقب، ومسلم في الفضائل.

obeikandl.com

لقد انهارت المبادئ الشيوعية، وأفلست المبادئُ الاشتراكية، ولم يعد من علاج، يقضي على التفاوت الطبقي بين أفراد المجتمع، إلَّا تطبيق عدالةِ السماء، التي نصَّ عليها الكتابُ العزيز، في قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ...﴾ الآية [الحشر: ٧] أي لكيلا يستأثر بهذا المال، الأغنياءُ دون الفقراء، فما يغنمه المسلمون، وما يخرجه اللَّه عزَّ وجلَّ من خيرات الأرض، من كنوز ومعادن، وآبار بترولية، ومناجم ذهبيَّة، يجب أن تُصرف على مصالح المسلمين، يشترك فيها الجميع دون استثناء، الأغنياءُ والفقراء، واليتامى والمساكين، والضعفاء الذين انقطعوا في أسفارهم، والغرضُ من هذا التوزيع كيلا يبقى المال في أيدي الأغنياء، يتداولونه بينهم، ويُحرم منه الفقراءُ.

تفتيت الثروة في النظام الإسلامي

هذه قاعدة أساسية كبرى من قواعد (النظام الاقتصادي) في الإسلام، يحفظ التوازنَ بينَ أفراد المجتمع الإسلامي، وإذا أردتم أن تعرفوا كيف عالج الإسلامُ مسألة الفقر؟ وقضى على هذه الفوارق المفزعة بين أفراد المجتمع الواحد، فادرسوا أحكامه ومبادئه العادلة.

هذا أبسط مثالٍ على ذلك (فريضةُ الزكاة) فقد جاءت فريضةً سنويةً، بنسبة واحدٍ من أربعين، من جميع ما يملك المسلمُ، من أموالٍ نقدية، فالذي يملك أربعينَ ألف درهم، عليه كلَّ عام ألفُ درهم، والذي يملك أربعين مليوناً، عليه كلَّ عام مليون درهم، وبذلك فتَّت الإسلام الثروة، التي في أيدي الأغنياء، ولم يتركها في أيدي فئة محتكرة، تمتصُّ دماءَ الناس.

ولو طُبِّقت الزكاة كما فرضَها اللَّهُ وحدها، لما بقي فقير من المسلمين على وجه الأرض، يشكو ألم الجوع والحرمان؟ فكيف بنا وهناك أنواع كثيرة من أعمال البرِّ، تدعو إلى المواساة والإحسان؟ وهذا هو المبدأ الإسلامي الكريم ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

حسنُ صوتِ أبي موسى الأشعريّ بالقرآن

أُعطي (أبو موسى الأشعريُّ) رضي اللَّه عنه، صوتاً حسناً، فكان إذا قرأ القرآن بصوته العذب الجميل، سحَرَ قلوبَ الناس، واستهواهم لسماع القرآن، حتى ولو كان السامعُ غير مسلم، ولقد أثنى الرسولُ الكريم عليه وعلى تلاوته، وإليكم هذه القصة الفريدة:

خرج رسول اللَّه ﷺ ذاتَ ليلة، بعد صلاة العشاء، فمرَّ على دور الأشعريِّين في المدينة المنورة، وسمع صوت (أبي موسى الأشعريِّ) يقرأ القرآن، فوقفَ يستمع لقراءته ـ وأبو موسى لا يعلم بذلك ـ وبقي النبيُّ ﷺ يُنصتُ لتلاوته، حتى انتهى (أبو موسى) من القراءة، فانصرف الرسول ﷺ.

وفي الصباح رآه النبيُّ ﷺ فقال له: لو رأيتَني وأنا أستمعُ إلى قراءتك بالأمس!! لقد أُعطيتَ مزماراً من مزامير آلِ داود ـ أي صوتاً حسناً يشبه في جماله صوت المزامير ـ فقال له أبو موسى: يا رسول اللَّه، أكنتَ تستمع إلى قراءتي؟ قال: نعم، قال: لو علمتُ أنك كنتَ تسمع لحبَّرتُه لك تحبيراً)[١].

أي لقرأتُ لك بصوتٍ حسن جميل، يعجبك رونقه وجماله.

وهذا الذي قاله ﷺ لأبي موسى: (أُعطيتَ مزماراً من مزامير آلِ داود) يُضرب مثلاً لمن كان حسن الصوت، في غاية العذوبة، فقد كان نبيُّ اللَّه (داود) عليه السلام، إذا قرأ الزبور، لم تبق دابة إلا استمعت لقراءته، وبكت لبكائه، وإذا سبَّح تسبِّح معه الجبال الراسيات، والطيور السارحات، من صوته الحسن الجميل ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۞ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٨، ١٩].

دُورُ الأشعريِّين ترتجُّ بتلاوة القرآن

ولقد كانت منازل الأشعريين عامرةً بحفظ كتاب اللَّه وتلاوته، حتى كانت تُعرف منازلهم، من أصواتهم بالقرآن الكريم، صباحَ مساءَ، حتى أثنى عليهم رسولُ اللَّه ﷺ بقوله:

(إني لَأَعرفُ أصواتَ رُفقة الأشعريِّين بالقرآن، حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلَهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنتُ لم أَرَ منازلَهم حين نزلوا بالنهار)[٢].

فمنازلهم كانت تُعرف بالليل من بين المنازل، بكثرة قراءة القرآن، وهذه منقبةٌ خاصة اشتهروا بها، فقد تحوَّلت دورهم إلى خلايا لحفظ كتاب اللَّه، حتى أصبحت كخلايا النحل، من كثرة من يقرءون القرآن.

ونِعْمَ ما فعلوا، فقد كان الصغارُ والكبار، والرجال والنساء، يتلون كتاب اللَّه، ويتدارسونه بينهم، وكانوا يحفِّظون أبناءهم القرآن العظيم، وبذلك ظهر فضلُهم وقَدْرُهم، على سائر بيوت الصحابة، رضوان اللَّه عليهم أجمعين.

---

(١) رواه الترمذي في سننه.

(٢) انظر التاج الجامع للأصول الستة باب فضل الأشعريِّين.

obeikandi.com

دعاء الرسول ﷺ لأبي موسى الأشعري

لمَّا فَرَغَ النبي ﷺ من (غزوة حنين) بعث (أبا عامر) و(أبا موسى الأشعري) على جيش إلى أوطاس، فلقيا (دُرَيْدَ بنَ الصُّمَّة) وبعد الموقعة قُتِلَ (دُرَيْدٌ) وهزمَ اللَّهُ أصحابَه.

قال أبو موسى الأشعري: وبعثني رسولُ اللَّه ﷺ مع (أبي عامر الأشعري) فأصابه سهمٌ في ركبته، رماه به رجلٌ من (بني جُشَم) فلحقتُه فقتلتُه، ثم رجعتُ إلى (أبي عامر) فنزعتُ السهمَ من رُكبته، فنزا منه الماءُ، واستعملني (أبو عامر) على الناس ـ أي جعله أميراً مكانه ـ وقال لي: انطلِقْ إلى رسول اللَّه ﷺ، فأقْرِئْهُ منِّي السَّلامَ، وقُلْ له: استغفِرْ لأبي عامر!!

ثم مكثَ يسيراً، ومات رحمه اللَّهُ تعالى.

وفاة أبي عامر رحمه اللَّه تعالى

قال أبو موسى: فلمَّا رجعتُ إلى النبي ﷺ، دخلتُ عليه وهو على سرير مُرْمَل ـ أي منسوج بسَعَفٍ من النخيل ـ وقد أثَّر السريرُ بظهر النبي ﷺ وجنبَيْه، فأخبرتُه بخبَرِ الجيشِ، وخبر أميره (أبي عامر) وطلبِهِ الاستغفارَ له!!

فتوضأ رسولُ اللَّه ﷺ ثم رفع يديه، فقال: اللهمَّ اغفرْ لعُبَيْدِكَ (أبي عامر) ورأيتُ بياضَ إبطيه!

قال أبو موسى: وَلِيَ فاستغفرْ يا رسولَ اللَّه! فقال ﷺ: (اللهمَّ اغفر لـ(عبد اللَّهِ بنِ قيس) وأدخلْه يوم القيامةِ مُدْخلاً كريماً)[1].

واسْمُ أبي موسىٰ الأشعري هو (عبدُ اللَّه بن قيس) فكانت هذه الدعوة المباركة من رسول اللَّه ﷺ (لأبي موسى الأشعري) خيراً عنده من الدنيا وما فيها، وقد أينعت ثمرتُها بالنسل الكريم المبارك، حيث جاء من نسله من صان العقيدة، وحفظها من البدعِ والخرافات، وهو الإمام الجليل (أبو الحسن الأشعري) رحمه اللَّه تعالى.

رضي اللَّه عن (أبي موسى الأشعري) وأسكنه فسيح جناته، بما بذله من جُهد ومجاهدة، لنشر دين اللَّه في الأرض.

* * *

(١) رواه مسلم في صحيحه.

obeikandl.com

قصة إسلام أبي عُبيدةَ بنِ الجراح رضي الله عنه

٤٧

أبو عُبيدةَ بنُ الجرَّاح صحابيٌّ جليل، من خيرة أصحاب الرسول ﷺ، ومن الأوائل السابقين للإسلام.

اسمه: (عامرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الجرّاح) وكنيتُه (أبو عُبيدة).

أسلمَ رضي اللَّه عنه وهو شابٌّ، وشهد مع رسول اللَّه ﷺ بعض الغزوات، وأبلى في (غزوة أُحد) بلاءً حسناً، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، فقد روى الترمذيُّ وأبو داود عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: (أبو بكرٍ في الجنة، وعمرُ في الجنة، وعثمانُ في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وأبو عُبيدةَ في الجنة، وسعدٌ في الجنة..)[1] وذكَرَ بقية العشرة المبشرين، رضوان اللَّه عليهم أجمعين.

أسلمتْ أمُّ (أبي عُبَيدةَ) رضي اللَّه عنها بعد إسلام ولدها، وأمَّا أبوه (الجرَّاح) فقد بقي كافراً، وقُتل في غزوة بدر، ومات على غير الإسلام، وفي قصة مقتله حَدَثٌ عجيب، وعظاتٌ وعِبَر..

أبو عبيدة قتل أباه المشرك

في غزوة بدر، أقبلت جحافلُ الكفر، تريد أن تطفئ نور اللَّه، وتقضي على الإسلام في مهده، جاءوا بطغيانهم وجبروتهم، قاصدين المدينة المنورة، وكانت (غزوة بدر) أولَ الحروب بين (جند الرحمن) و(جند الشيطان) أبصرَ الجرَّاحُ ولده (أبا عبيدة) فأسرع نحوه قاصداً قتلَه، ولكنَّ ابنه توارى عنه، وأصبح الأبُ يطارد ابنَه ويلاحقه، و(أبو عُبيدة) يغيبُ عنه، ويختفي عن نظره، لا يريد أن يجابه أباه بقتال، ولكنَّ الكفر يأبى أن يُهَادِنَ الإيمانَ، وأخيراً سلَّ الوالدُ سيفه ليقتل ولده، فما كان من

(١) رواه البخاري في المغازي باب غزوة أوطاس.

obeikandl.com

(أبي عبيدة) إلَّا أن يضرب أباه ضربةً، أرْداه بها قتيلاً، واستعظم بعضُ الناس أن يُقدِمَ الابنُ على قتل أبيه، بلْ عدَّه البعضُ منكراً عظيماً، فنزل القرآن الكريم، مؤيداً موقف (أبي عُبيدة) رضي اللَّه عنه، ومثنياً على إيمان الصحابة، بقطع علاقاتهم مع الكفار، ولو كانوا أقرب الناس إليهم ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ . . .﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

توضيح معنى الآية الكريمة

ومعنى هذه الآية الكريمة، أنه لا يمكن ولا يُتصوَّر أن يجتمع في قلب واحد، حبُّ اللَّهِ وحبُّ أعدائه، كما لا يُتصوَّر أن يجتمع النور مع الظلام، فقضيَّةُ الإيمان تقتضي بُغضَ أعداءِ اللَّهِ، ومقاطعَتَهم، ولو كانوا آباءً لهم، أو أبناءً أو إخوة، أو أحبَّ الناس إليهم، لأن من أحبَّ اللَّهَ، عادى أعداءه.

قال ابن كثير: نزلت هذه الآيةُ في (أبي عُبيدةَ بنِ الجرَّاح) حين قَتَل أباه يوم بدر. وفي الصدِّيق (أبي بكر) حينَ همَّ يومئذٍ بقتل ابنه (عبد الرحمن).

وفي (مُصعبِ بنِ عُمير) قتلَ أخاه (عُبَيْدَ بنَ عُمير).

وفي (عمر) قتل خاله يوم بدر.

وفي حمزة، وعليٍّ، وعُبيدة بن الحارث، قتلوا أقرباءهم[1].

إعجابُ عمر بأبي عُبيدة رضي اللَّه عنه

ولقد كان عمر الفاروق معجباً بأبي عُبيدة أشدَّ الإعجاب، وقد جعله أميراً على الشام، لِمَا يعرفه عنه من حسن الإدارة والأمانة، ومات رضي اللَّه عنه بالطاعون، سنة ثمان عشرة من الهجرة، وقال عمر رضي اللَّه عنه حين جعل أمر الشورى بعده في ستة من الصحابة: لو كان (أبو عُبيدة) حياً لاستخلفتُه!! أي جعلته خليفةً بعدي.

كان أبو عُبيدة طويلاً نحيفاً، ولكنه جسورٌ في المعارك، يقاتل بشجاعة وبَسَالة، لا يهاب الموت، لأنه تربَّى في مدرسة الإيمان، فكانت أسمى أمانيه أن ينال الشهادة في سبيل اللَّه، وهو الذي كان مع رسول اللَّه ﷺ يحميه بروحه وجسده، مع بقية من حوله من الصحابة، وقد كسرت ثنيَّتا (أبي عبيدة) بسبب

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٦٣.

انتزاعه سهمين من جبهة النبي ﷺ يوم أُحُد، ما استطاع أن ينزعهما إلَّا بأسنانه، فأصبح أثرمَ الثنيَّتين، وهذا غاية في التضحية منه، لمن بعثه اللَّهُ رحمةً للعالمين[١].

أبو عبيدة بن الجراح أمينُ الأمة

لم يَنْسَ رسولُ اللَّه ﷺ التضحيةَ التي قدَّمها (أبو عُبيدة) فكان يكرمه ويرفع قدرَه بين أصحابه رضوانُ اللَّه عليهم، وقد سمَّاه ﷺ (أمينَ هذه الأمة) ـ أي المؤتمن على الأمة الإسلامية كلها.

روى البخاري رحمه اللَّه، عن أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: (إنَّ لكلِّ أمةٍ أميناً، وإنَّ أمينا أيَّتُها الأمة «أبو عُبيدةَ بنُ الجراح»[٢]).

وحين قدم أشرافُ نَجْران على الرسول ﷺ، وطلبوا منه أن يبعث لهم رجلاً أميناً، يعلِّمهم الدِّينَ، ويُقرئهم القرآن، قال لهم: لأبعثنَّ إليكم رجلاً حقَّ أمين!!

فاستشرف الناسُ لها ـ أي تطلَّع الكثير لهذه المرتبة أن ينالها ـ فبعث لهم ﷺ (أبا عُبيدةَ بنَ الجراح) وقال لهم: هذا أمينُ هذه الأمة[٣].

زهدُ أبي عُبيدةَ وعفتُه عن العطاء

١ ـ أخرج البيهقي عن أسلمَ رضي اللَّه عنه أنه قال:

(لمَّا كان يومُ الرَّمادة ـ يعني يوم الشدة والجوع على المسلمين ـ وأجدبت بلادُ العرب، كتب عمر بن الخطاب إلى (عَمْرِو بن العاص) كتاباً ثم دعا (أبا عُبيدةَ بنَ الجراح) فأعطاه الكتاب وقال: اذهبْ به إلى (عمرو بن العاص) فخرج في ذلك، حتى أوصله له، وأرسل معه مالاً من أهل مصر.!

فلمَّا رجع (أبو عُبيدة) رضي اللَّه عنه بعث إليه عمر بألف دينار، فلم يقبلها، وقال أبو عُبيدة: إني لم أعملْ لك يا ابنَ الخطاب، إنما عملتُ هذا للَّهِ، ولستُ آخذاً في ذلك شيئاً!!

فقال له عمر: لقد أعطانا رسولُ اللَّه ﷺ في أشياءَ بَعَثَنَا لها، فكرهنا أن نأخذ ذلك، فأبى علينا رسولُ اللَّه ﷺ، فاقبلْها أيها الرجل، فاستعنْ بها على دينك ودنياك، فقَبِلَها (أبو عُبيدةَ) طاعةً لرسول اللَّه ﷺ[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٦٤ من المختصر.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم باب مناقب الصحابة ٣/ ٣٤٤ من التاج الجامع للأصول.

(٣) الحديث رواه البخاري أيضاً ٣/ ٣٤٤.

(٤) رواه البيهقي في سننه.

وأنفقها في سبيل اللَّه، وصرف منها على أهله.

٢ ـ وأخرج الطبراني عن (مالك الدّار) رضي اللَّه عنه أن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه (أخذ أربعَ مائة دينار) فجعلها في صُرَّة وقال لغلامه: اذهبْ بها إلى (أبي عُبيدة بن الجراح) ثم انتظر عنده قليلاً، حتى تنظر ما يفعل بها!!

فذهب بها الغلامُ إليه، فقال له: يقول لك أميرُ المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك!

فقال أبو عُبيدة: وَصَله اللَّهُ ورحمه، ثم قال لجاريته: تعالَيْ يا جاريةُ، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى انتهت ووزَّعها جميعاً، فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره الخَبَر، فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذِ بنِ جبل رضي اللَّه عنه، فقال له: اذهب بها إلى (معاذ بن جبل) في البيت ثمَّ تأنَّ فانظر ما يفعل بها!! فذهب إليه وقال له: يقول لك أميرُ المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك!! فقال معاذ: رحمه اللَّه ووصَلَه! تعالي يا جاريةُ: اذهبي إلى بيت فلان بكذا، وإلى بيت فلان بكذا!!

فاطَّلعتْ امرأةُ معاذ وقالت له: نحن واللَّهِ مساكين فأعطنا، فلم يبق في الصُّرَّة إلا ديناران، فدفعهما إليها، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره، فسُرَّ بذلك، وقال: إنهم إخوةٌ بعضهم من بعض)[1].

تمني عمر رجالاً مثل (أبي عُبيدة) رضي اللَّه عنه

٣ ـ أخرج البخاري في التاريخ الصغير عن أسلمَ رضي اللَّه عنه (أن عمرَ بنَ الخطاب) رضي اللَّه عنه، قال لأصحابه الذين كانوا معه ذات يوم: تمنَّوا ـ أي ليطلب كل واحدٍ منكم أمنيةً من اللَّه ـ.

فقال أحدهم: أتمنَّى أن يكون لي مِلْءُ هذا البيت دراهمَ، فأنفقها في سبيل اللَّه تعالى!!

وقال آخر: أتمنَّى أن يكون لي مِلْءُ هذا البيت ذهباً، فأنفقها في سبيل اللَّه تعالى!!

فقال لهم: تمنَّوْا، فقال أحدهم: أتمنَّى أن يكون لي مِلْءُ هذا البيت جوهراً فأنفقه في سبيل اللَّه تعالى!!

فقال لهم عمر: تمنَّوْا، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما بقي شيء لنا نتمنَّاه!

---

(١) سنن البيهقي ٣/ ٣٥٤.

فقال عند ذلك عمر: لكنِّي أتمنَّى أن يكون لي ملءُ هذا البيت رجالاً مثلَ (أبي عُبيدة) و(معاذ بن جبل) و(حذيفةَ بن اليمان) فأستَعمِلَهم في طاعة اللَّه تعالى على المسلمين[١]!!

فكانت أمنيةُ عمر رضي اللَّه عنه، أن يلقى رجالاً مثل هؤلاء الأماجد الأكارم، حتى يولِّيهم إدارة شؤون المسلمين.!

* * *

(١) أخرجه البخاري في التاريخ.

obeikandl.com

قصة إسلام الزبير بن العوام رضي الله عنه

٤٨

(الزُّبيرُ بنُ العوَّام) أحدُ الأبطال الشجعان، من السابقين إلى الإسلام، أسلمَ رضي اللَّه عنه وهو ابنُ (٨) ثمان سنوات، وله قرابةٌ برسول اللَّه ﷺ، فأمُّه (صفيَّةُ ابنة عبدِ المطلب) عمَّةُ النبيِّ ﷺ، وقد كان محبوباً عند الرسول ﷺ لحسن خُلُقه، وشهامته ونجدته، حتى اشتهر بأنه (حواريُّ) رسولِ اللَّه ﷺ ـ أي ناصرُه وعَضُده ـ فكان ﷺ يعتمد عليه في الشدائد والمهمات.

روى البخاري عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه أنه قال:

(نَدَبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ يوم الخندق ـ أي دعاهم وحضَّهم على الجهاد ـ فانتدبَ الزبيرُ ـ أي كان أسرعَ المجيبين له ـ ثم نَدَبَهم فانتدب الزُّبيرُ، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال النبيُّ ﷺ: (لكلِّ نبيٍّ حواريٌّ ـ أي ناصرٌ ومعين ـ وحواريَّ الزُّبيرُ)[1].

شجاعة الزبير بن العوَّام رضي اللَّه عنه

شهد الزبير رضي اللَّه عنه فتح مصر مع (عَمْرِو بن العاص) وحضر معركة (اليرموك) وهو موضع قريب من الشام، أول خلافة عمر رضي اللَّه عنه، كان عدد المسلمين (٤٥) خمسة وأربعين ألفاً، وعددُ الروم/ ٧٠٠/ سبعمائة ألف، فهابهم المسلمون لكثرتهم.

فقالوا للزبير: أَلَا تبدأ بالهجوم عليهم، لنُدْخِل الرُّعبَ على قلوبهم؟ فقال: نعم، فحمل عليهم، وتبعه المسلمون يقاتلون ببسالة، فأبْلَوْا بلاءً حسناً، وانتصر المسلمون عليهم، فقتلوا منهم مائة ألف، وأسروا أربعين ألفاً، واستشهد من

(١) رواه البخاري في المناقب ٢/ ٢٠٢.

المسلمين أربعة آلاف، وكانت تلك المعركة نصراً مجيداً للمسلمين، كان للزبير فيه دورٌ كبير، بشجاعته الخارقة رضي اللَّه عنه.

لقد كان الزبير رضي اللَّه عنه لا يهاب من الموت، يهجم على الأعداء بشجاعة منقطعة النظير، فهو بطلٌ من الأبطال الشجعان.!

أخرج البخاري عن (عروة بن الزبير) أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك ـ أي الغزوة التي حدثت بين المسلمين والروم بموضع قريب من الشام ـ: أَلَا تَشُدُّ على الكفَّار فنشُدَّ معك؟ فحمل عليهم، ـ أي هجم عليهم هجومَ الأبطال ـ فضربوه ضربتَيْن على عاتِقِه ـ أي كتفه ـ بينهما ضربة ضُرِبَها يوم بدر.

قال عُرْوةُ ابنُه: فكنت أُدْخِلُ أصابعي في تلكَ الضربات، ألعبُ بها وأنا صغير)[1].

كثرة الجراح في الزبير رضي اللَّه عنه

وقد كثُرت في الزبير الجروحُ، حتى لم يبق عضوٌ في جسده، إلَّا جُرِحَ في سبيل اللَّه تعالى، حتى قال لولده عبد اللَّه: يا بنيَّ ما مني عضوٌ إلَّا وقد جُرح مع رسول اللَّه ﷺ.

ولمَّا كانت وقعة الجمل كان في جملة المقاتلين مع عائشة، ضدَّ (عليٍّ) رضي اللَّه عنه، فطلبه عليٌّ وذكَّره بقول النبي ﷺ: (تقاتلهُ وأنتَ له ظالم) فتاب ورجع، ونام تحت شجرة، فجاءه رجلٌ أعرابي فقتله على غفلة، وجاء يبشِّر علياً، فغضب عليٌّ رضي اللَّه عنه، وقال للقاتل: ويلاً لك، سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: (**بشِّرْ قاتلَ الزبير بالنَّار**).!

ثناءُ عثمان على الزبير رضي اللَّه عنه

وحين طُلبَ من (عثمانَ) رضي اللَّه أن يستخلفَ ـ أي يجعل بعده خليفة وأشاروا عليه بالزبير، قال: نعم، أَمَا والذي نفسي بيده، إنه لخيرهم ما علمتُ، وإنه كان أحبَّهم إلى رسول اللَّه ﷺ[2].

الزبيرُ يكشف خبرَ بني قريظة

نقَضَ يهودُ (بني قريظة) عهدهم مع رسولِ اللَّه ﷺ، حين اتفقوا مع صناديد

(١) رواه البخاري في المناقب ٢/ ٣٠٢.
(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣٠٢.

الكفر من قريش، على حرب رسول اللَّه ﷺ، وقتال المسلمين، وقد كانوا عاهدوا الرسول ﷺ، على أن ينصروه إذا تعرَّض لحربٍ، من جهة أحدٍ من الأعداء، ولا يعينوا عليه أحداً.!

ولكنَّ أفاعي الغدر والخيانة، تأبى الوفاء، لمن عاهدهم على أن يدافع عنهم إذا تعرَّضوا لخَطَرٍ، وأقرَّهم على سكناهم في المدينة المنورة، بشرط أن لا يعينوا عليه أحداً، ولكنَّ طبيعة اليهود، تأبى إلَّا الغدر اللئيم، وأصبح المسلمون بين نارَيْنِ: نارِ المشركين، ونار اليهود، حتى اضطُرَّ النبيُّ ﷺ إلى أن يرسل بعض المسلمين، لحراسة الذَّراري والنساء، من غدر اليهود، بعد أن نقضوا العهد مع النبيِّ ﷺ.!

تآمرُ حُييّ مع كعب بن أسد

خرج (حُيَيُّ بنُ أخطب) أحدُ زعماء اليهود، حتى أتى (كَعبَ بن أَسَد) سيِّد بني قريظة، وأخذ يُغريه بنقض العهدِ مع الرسول ﷺ، وظلَّ يُمَنِّيه بالعون والنَّصر، حتى نقضَ رئيسُهم العهدَ مع رسول اللَّه ﷺ، وبرئَ ممَّا كان بينه، وبين رسولِ اللَّه، من عهدٍ وميثاق.!

فلمَّا انتهى الخبرُ إلى رسول اللَّه ﷺ وإلى المسلمين، بعثَ بعضَ الصحابة فيهم (الزبيرُ) رضي اللَّه عنه، وقال لهم: انطلقوا إلى (بني قريظة) حتى تنظروا أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم، أم لا؟ فإن كان حقاً، فالْحَنُوا إليَّ لحناً أعرفه منكم ـ أي برمزٍ وَإشارة ـ ولا تفتُّوا في عزائم المسلمين، وإن كانوا على الوفاء والعهد، فاجْهَرُوا به بين الناس.!

فخرجوا حتى أتوا يهود (بني قريظة) فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، من الغدر والخيانة، حتى نالوا من رسول اللَّه ﷺ، وطعنوا فيه، وقالوا: من رسولُ اللَّه؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد!!

فرجعوا فأخبروا الرسول ﷺ بنقض اليهود للعهد، بطريق التلميح والإشارة، فقالوا: يا رسول اللَّه، (عُضَل والقَارَة)!! يريدون أنهم غادرون كما غَدَرتْ قبيلةُ (عُضَل والقارة) بأصحاب الرسول القُرَّاء، حين أعطوهم العهد والميثاق ثم قتلوهم.

فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **اللَّهُ أكبرُ**، أبشروا يا معشر المسلمين، فإنَّ النصر قريب.!

محاصرة كفار قريش للمدينة المنورة

وكانت قريشٌ وغَطَفانُ وأوباش العرب، حاصروا المدينة المنورة، وأرادوا أن تكون المعركة الفاصلة بينهم وبين المسلمين، فقد أحاطوا بهم من كل جانب،

المشركون من الخارج، ويهود (بني قريظة) من الداخل، واشتدَّ الخطبُ على المسلمين، ولكنَّ اللَّهَ تعالى كان لهم بالمرصاد، فقد دبَّر لهم ما لم يكن بالحسبان.!

إسلام نُعَيْم وتدبيرُه الخطة على بني قريظة

في تلك الأحيان ـ والمسلمون يعيشون أقسى حالات الشدَّة والكرب ـ أسلم بعضُ المشركين وهو (نُعيمُ بنُ مسعود الأشجعي) فأتى رسول اللَّه ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، إني قد أسلمتُ، وإنَّ قومي لم يعلموا بإسلامي، فَمُرْني يا رسول اللَّهِ بما شئتَ لأفعله!!

فقال رسولُ اللَّه ﷺ له: إنما أنتَ فينا رجلٌ واحد، فخذِّلْ عنَّا الأعداءَ ما استطعتَ، فإنَّ الحرب خُدْعةٌ ـ أي ادفع شرَّهم عنا بما تستطيع من حيلة ـ !!

فخرج (نُعَيم) حتى أتى يهودَ بني قريظة، وكان لهم صديقاً في الجاهلية، فقال لهم: يا بني قُريظة، تعلمون وُدِّي لكم، ومحبتي إيَّاكم، قالوا: صدقتَ، لستَ عندنا بمتَّهم ـ وهم يحسبونه ما زال مشركاً.!

دهاءٌ رائع لإفشالِ مخطَّط اليهود

فقال لهم: إن قريشاً وغَطَفان ليسوا مثلَكم! أنتم تسكنون المدينة، فيها أموالكم، وأبناؤكم، ونساؤكم، لا تقدرون أن تتركوا هذا البلدَ، وترحلوا لغيره!

وإن قريشاً وغَطَفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد أعنتموهم على حربه، ونقضتم العهد الذي كان بينكم وبين المسلمين، فإن حصل لهم هزيمة، لحقوا ببلادهم، وتركوكم مع هذا الرجل، وأنتم لا طاقة لكم بحربه إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع أهل مكة، حتى تأخذوا رهناً من رجالهم وأشرافهم، يبقون في أيديكم رهناً، حتى تثقوا بأنهم سيقاتلون محمداً معكم، ولا يتركونكم وحدكم.!

نُعَيْم يخذِّل قريشاً عن محاربة الرسول ﷺ

فقالوا: لقد أشرتَ بالرأي! وعزموا أن لا يشاركوا في حرب، حتى يأخذوا منهم رهائن!

ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لقريش ولزعيمهم (أبي سفيانَ بن حرب) ولمن معه من الرجال، المحاصِرين للمدينة: يا معشر قريش، قد عرفتم وُدِّي لكم، ومناصرتي إياكم، وعدائي لمحمد ـ وهم لا يعرفون إسلامه ـ وإني قد

سمعتُ أمراً، أرى واجباً عليَّ أن أبلِّغكم إيَّاه، نُصْحاً لكم، فاكتموا عليَّ هذا الأمر!! قالوا: نفعل!!

فقال لهم: إن يهود (بني قُريظة) ندموا على ما صنعوا، فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه، يخبرونه أنهم قد ندموا على صنيعهم، وقالوا له: هل يُرْضِيك أن نأخذ لك من قريش وغَطَفَان، رجالاً من أشرافهم، فنسلِّمك إيَّاهم، فتضربَ أعناقهم، ثم نجتمع معك على من بقي منهم، حتى نستأصلهم، وترضى بذلك عنا، فأرسل إليهم: أن نعم!

فإن أرسلتْ إليكم اليهودُ، يلتمسون رهناً من رجالكم، فإيَّاكم أن تُسلِّموهم رجلاً واحداً منكم!!

ثم خرج حتى أتى (غَطَفانَ) فقال لهم مِثل الذي قال لقريش، وحذَّرهم ممَّا حذَّر به قريشاً، فأوقع بينهم العداوة والخلاف.

إحكامُ نُعيم للخطَّة بدهاء بارع

هكذا أحكم (نُعَيْمُ بنُ مسعود) الخُطَّة، لتفريق صفِّ المتآمرين على المسلمين، من اليهود والمشركين.

ولمَّا أرسلت قريش إلى يهود (بني قريظة) يطالبونهم بالقتال، قالوا لهم: إنَّا لن نقاتل محمداً معكم، حتى تعطونا رهناً من رجالكم، يكونون بأيدينا، فإننا نخشى إن قاتلنا محمداً أن تتركونا، وتنصرفوا إلى بلادكم، فينفردَ بنا، ولا طاقةَ لنا بقتاله وحدنا، وأنتم ترجعون آمنين إلى دياركم.!

فقالت قريش: لقد صَدَقكم واللَّهِ (نُعَيمُ بنُ مسعود) وما يريد اليهودُ منَّا الرَّهْنَ، إلَّا ليقدِّموهم إلى محمد قُرْباناً، ليقتل أشرافنا ورؤساءنا، فأرسلوا إليهم واللَّهِ لا ندفع إليكم أحداً من رجالنا، حتى تبدءوا أنتم بالخروج لقتاله، ونناجزُ معكم محمداً!!

وهكذا خذَّل اللَّه بينهم، وردَّ كيد الأعداء، ووقعت الفرقةُ بينهم.!

وأرسل اللَّه على قريش والأحزاب ريحاً هَوْجاءَ مخيفة، في ليلة مظلمة باردة، جاءت فقلبت قدورهم، واقتلعتْ خيامَهم، وأطفأت نيرانَهم، بعد محاصرة المشركين للمسلمين بضعة عشر يوماً.

وفي ذلك يقول جلَّ ثناؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

يوم الأحزاب كان شديداً على المسلمين

روى مسلم في صحيحه عن حُذيفةَ بنِ اليمان رضي اللَّه عنه أنه قال:

(لقد رأيتُنا مع رسول اللَّه ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدةٌ وقُرٌّ ـ أي برد شديد ـ فقال رسول اللَّه ﷺ: أَلَا رجلٌ يأتيني بخبر القوم، جعلَهُ اللَّهُ معي يوم القيامة!!

فسكتنا فلم يُجبه منَّا أحد ـ أي من شدة الفزع والخوف ـ.!

ردَّدَ رسولُ اللَّه ﷺ ذلك ثلاثاً (أَلَا رجلٌ يأتينا بخبر القوم).!؟

رسولُ اللَّه يأمر (حُذيفة) بمجيئه بخبر قريش

ثم قال: قم يا حُذيفةُ فأتنا بخبر القوم!

فلم أجدْ بُدّاً إذْ دعاني رسولُ اللَّهِ ﷺ باسمي أن أقوم!

قال ﷺ: اذهبْ فأتني بخبر القوم، ولا تَذْعرهم عليَّ ـ أي لا تُهَيِّجْهم ـ فلمَّا انصرفتُ من عنده، جُعلتُ كأنما أمشي في حمَّام ـ أي دبَّت فيَّ الحرارة كأنني في حمَّام ساخن ـ حتى أتيتُهم.!

فرأيتُ (أبا سفيانَ) يُصْلِي ـ أي يُدفئ ـ ظهرَه بالنار، فوضعتُ سهماً في كبد القوس، فأردتُ أن أرميه، فذكرتُ قولَ رسول اللَّه ﷺ: «ولا تَذْعرهم عليَّ» ولو رميتُه لأصبتُه، فرجعتُ وأنا أمشي في مثل الحمَّام، فلمَّا أتيتُه فأخبرته بخبر القوم وفرغتُ، ألبسني رسولُ اللَّه ﷺ من فضل عباءةٍ، كانت عليه يستدفئُ بها، فلم أزل نائماً حتى أصبحتُ، فقال لي: قُم يا نومان)[1].

خطةٌ حكيمة في حفر الخندق

والحديث الشريف يصوِّر لنا مدى الشدة والكرب، الذي كان يعانيه الصحابة الكرام، فقد تجمَّعتْ عليهم الجموعُ، من كلِّ حدبٍ، وصَوْب، وكانت أياماً شديدة البرد، اشتدَّ عليهم فيها الجوعُ، والتعبُ، والخوفُ، واضطروا إلى حفر الخندق، وحوصرت فيه المدينة المنورة، حصاراً محكماً لبضعة عشر يوماً، وأصبحَ الخطرُ يُحدقُ بالنساء، والولدان، بسبب اشتغال الرجالِ بحفر الخندق، واكتمل فيه البلاءُ، بغدر يهودِ (بني قريظة) حيث نقضوا العهد مع رسول اللَّه ﷺ، وعزموا على حربه مع كفار مكة، ونَجَم قرنُ المنافقين، فكشفوا الستار عن ضغائنهم، في عداوة

(١) رواه مسلم ٥/ ١٧٧.

oberkanal.com

الرسول والمؤمنين، ولنمعن النَّظرَ في هذه الآيات الكريمة، حيث تشرح لنا مبلغ ما نال المؤمنين، من شدائد وأهوال، في تلك الغزوة (غزوة الأحزاب) حيث يقول تقدست أسماؤه:

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۞ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۞ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٠ ـ ١٢].

لقد كان رسول اللَّه ﷺ، لا يفترُ طيلةَ تلك الأيام والليالي العصيبة، عن الاستغاثة والتضرع إلى اللَّه عزَّ وجلَّ، أن يكشف الغُمَّة عن المسلمين، ويأتي بالنصر، وكان من جملة دعائه ﷺ:

(اللهمَّ منزلَ الكتاب، ومجريَ السحاب، وهازمَ الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم).

الزبير يأتي الرسول ﷺ بخبر بني قريظة

لقد تعرَّض الزبيرُ رضي اللَّه عنه للخطر مرات، حين ذهب إلى يهود (بني قريظة) ليأتي الرسولَ ﷺ بخبرهم، وما هم عليه من الاستعداد لحرب الرسول ﷺ والمسلمين.

روى الشيخان عن عبد اللَّه بن الزبير رضي اللَّه عنه قال: (كنتُ يومَ الأحزاب أنا و(عمرُو بنُ أبي سَلَمة) في النِّساء ـ أي في حفظ النساء، نساءِ النبيِّ لئلا يباغتهنَّ عدوٌّ ـ فنظرتُ فإذا أنا بأبي (الزبير بن العوَّام) على فرسه، يختلف إلى قريظة ـ أي يتردَّد على حصونهم ذهاباً وإياباً ـ مرتين أو ثلاثاً!!

فلمَّا رجعتُ قلتُ: يا أبتِ، رأيتُك تختلف إلى بني قريظة؟

قال: وهل رأيتني يا بنيَّ؟ قلت: نعم! فقال لي: يا بنيَّ، كان رسولُ اللَّه ﷺ قال لنا: من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟

فانطلقتُ، فلمَّا رجعتُ جَمع لي رسول اللَّه ﷺ أبويه، فقال له: فداكَ أبي وأمي)[1].

الرسولُ يُفدِّي الزبير بأبيه وأمه

وقولُ النبي ﷺ للزبير: (فداكَ أبي وأمِّي) أي أفديك بهما، تكريم وتشريف

(١) رواه الشيخان والترمذي.

للزبير رضي اللَّه عنه، وإعلاءً لقدره، فإن الإنسانَ يفدي من يعظّمه فيبذل نفسه له، فالزبير رضي اللَّه عنه خَاطَرَ بنفسه نصرةً للَّهِ ولرسوله، في (غزوة الخندق) ودخل بين صفوف اليهود، ليأتي بأخبارهم لرسول اللَّه ﷺ، واليهودُ وما أدراك ما اليهود، في شدة بغضهم للإسلام والمسلمين، لو رأوه لقتلوه، ولكنَّ اللَّهَ أعمى أبصارهم عنه، فلذلك جعله الرسول ﷺ حواريَّه ـ أي صفيَّه ـ وفداه بأبيه وأمه، وما أعظمها من مزية!! نالها هذا الصحابيُّ (الزُّبير بن العوام) رضي اللَّه عنه وأرضاه، وأسكنه فسيح جناته، إنه جواد كريم، برٌّ رحيم.!

* * *

openkandl.com

ولادةُ عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

وُلد للزبير بن العوَّام عِدَّةُ أبناء، كان أولهم (عبد اللَّه) وكان من خيرة الصحابة، ومن شبابها المعروفين بالتقوى والصلاح، سمَّاه الرسول ﷺ (عَبدَ اللَّه) وحنَّكه بنفسه، بشيءٍ من تمر المدينة، فكان ريقُه الشريف أوَّلَ ما دخل إلى بطن هذا الغلام الرضيع، ولذلك نشأ على الدين والصلاح، وصار مباركاً طيلة حياته.

روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها (أن النبيَّ ﷺ رأى في بيت الزبير مصباحاً في الليل، فقال لها: يا عائشة ما أرى أسماءَ ـ أختَ عائشة ـ إلَّا قد نُفِست ـ أي هي في حالة الطَّلْق على أبواب الولادة ـ فلا تسمُّوه حتى أُسمِّيه، فسمَّاه النبي ﷺ (عبدَ اللَّه) وحنَّكه بتمرة بيده من تمر المدينة)[1].

وأسماءُ رضي الله عنها هي ذات النطاقين، زوجةُ (الزبير) وأخت عائشة رضي اللَّه عنهم أجمعين، وقد اهتمَّ النبي ﷺ بشأنها لأنها أخت زوجه عائشة، وزوجةُ صَفِيِّه الزبير بن العوام رضي اللَّه عنهم أجمعين.

موقعةُ الجمل ومقتل الزبير

كانت وفاة الزبير رضي اللَّه عنه، في تلك المعركة التي اشتهرت باسم (معركة الجمل) فحين كانت موقعة الجمل، في الفتنة التي وقعت بين الصحابة، دعا الزبيرُ ابنَه «عبد اللَّه» فقال له: يا بنيَّ، إنه لا يُقْتلُ اليومَ إلَّا (ظالمٌ) أو (مظلومٌ) وإني لا أُراني إلَّا سأُقتلُ اليومَ مظلوماً، وإنَّ من أكبرِ همِّي لَدَيْني، أفترى دينَنا يُبقي من مالنا شيئاً؟

يا بُنيَّ بعْ مالَنا، واقضِ ديني، وأوصَى بالثُّلث! ـ أي ثلث ماله ـ.

قال عبد اللَّه ـ يعني ابنُه ـ: فجعل يوصيني بِدَيْنه، ويقول: يا بُنيَّ إنْ عجزتَ عن شيءٍ منه، فاستعنْ عليه بمولاي!!

(١) رواه الترمذي في سننه.

قال: فواللَّهِ ما دريتُ ما أرادَ، حتى قلتُ: يا أبتِ من مولاك؟ قال: اللَّهُ!

يقول عبد الله: فواللَّهِ ما وقعتُ في كُربةٍ من دَيْنه، إلَّا قلتُ: يا مولى الزبير: اقضِ عنه دينَه، فيقضيه.!

مقتلُ الزبير رضي اللَّه عنه

قال: فقُتل الزبيرُ ولم يَدَع ديناراً ولا درهماً، إلَّا أَرَضِينَ ـ أي عدَّةَ أراضٍ بالمدينة، والبصرة، والكوفة ـ فباعها ابنُه.!

قال عبد اللَّه: فحسبتُ ما كان عليه من الدَّيْن، فوجدتُه مليونين ومائتي ألف، فقضى ما عليه من الدَّيْن، فلمَّا فرغَ ابنُ الزبير من قضاء ديونه، قال أبناءُ الزبير: اقسمْ بيننا ميراثَنا!!

قال عبد اللَّه: واللَّهِ لا أقسم بينكم، حتى أنادي بالموسم ـ أي مجمع الناس بالحج ـ أربعَ سنين: أَلَا من كان له على الزُّبير دَيْنٌ، فليأتنا فلْنقضه.!

فجعل عبدُ اللَّهِ كلَّ سنة ينادي في الموسم، فلمَّا مضى أربعُ سنين، قسم بينهم الميراث، ودفع الثلث الذي كان قد أوصى به الزبير إلى مستحقّيه!

وكان للزبير أربعُ نسوة، فأصاب كلّ امرأةٍ مليوناً ومائتي ألف، فجميع مالُ الزبير الذي جُمع من بيع الأراضي خمسون مليوناً ومائتا ألف)[1].

إكرامُ اللَّه للزبير بالشهادة في سبيله

رحمَ اللَّهُ (الزبيرَ بن العوَّام) فلقد أكرمه اللَّه بالشهادة، فقُتل مظلوماً، قتله بعضُ الأشقياء غِيلةً، وهو نائمٌ تحت شجرة، وقطعَ رأسه، وجاء يبشِّر قومه بقتله، وصدقت فيه الكلمةُ التي قالها المصطفى ﷺ: (بشِّرْ قاتلَ الزبير بالنَّار).

كما كانت له كرامة كبرى من اللَّه تعالى، بوفاء جميع ديونه، لأنه كان واثقاً من مولاه ربِّ العزةِ والجلال، حين قال لولده عبد اللَّه: استعنْ على قضاء ديوني بمولاي، ولم يعرف ابنُه من هو مولاه؟ فلمَّا سأله قال له: مولايَ: اللَّهُ تعالى.! وهذا دليلُ قوة يقينه باللَّه تعالى، وتوكله عليه، فهو سبحانه وليُّ المتقين.

رحم اللَّه تعالى (الزبيرَ بنَ العوام) وأسكنه فسيح جناته، فقد مات شهيداً بيد ظالمٍ فاجر.!

* * *

(١) أخرجه البخاري بأوسع من هذا، واختصرنا الحديث من صحيح البخاري رحمه اللَّه.